العنوان:	الحياة الأدبية و الثقافية في نابلس و ما حولها في العصر العباسي
المؤلف الرئيسي:	اللبدي، نزار وصفي
مؤلفين آخرين:	الابراهيمي، ابراهيم محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1987
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 172
رقم MD:	550091
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الحياة الأدبية، الحياة الثقافية، نابلس ، العصر العباسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/550091

الفصل الثاني

الحياة الأدبية :

لم يكن بدعاً أن يهتم أبناء منطقة نابلس بالدراسات اللغوية ، إذ أن الطابع العام لثقافتهم كان دينياً ، مما يستوجب الاهتمام بلغة القرآن الكريم وما كتب بها ، ولا سيما في ظروف كانت الثقافة العربية الاسلامية خلالها مهددة بسبب الغزو الأجنبي . وقد تجسد هذا الاهتمام بتجويدهم كتابتهم لفظاً ومبنى ، فظهر فيهم نفر من أصحاب الأساليب البيانية ، في حين اتجه بعضهم إلى دراسة نحو اللغة من كتب الأصول ، أو على أيدي شيوخ برعوا في النحو . وقد حفظت لنا المصادر أسماء مجموعة من المتميزين في هذا الفرع من فروع المعرفة ، ومن هؤلاء ، خطيب الشام ، شرف الدين النابلسي ، المولود سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد كان فقيهاً محققاً في فقه الحنابلة ، عالماً باللغة العربية ، وصفه الصفدي بأنه " سريع الفهم ، بديع الكتابة ، إمام في تحرير الخط المنسوب "(١) وقال فيه غيره : " إنه كان يخطب من انشائه"(٢) ومن هؤلاء كذلك ، قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسن ابن الشيخ الأمام شرف الدين أبي بكر عبدالله بن الشيخ أبي عمر المقدسي ،(٣) المولود سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد برع في اللغة ، وكان فيه أدب وحسن محاضرة . ومنهم أحمد بن محمد بن عبدالولي بن جبارة المرداوي (٤) ، المولود سنة سبع وأربعين وستمائة ، وهو ، وإن كان متأخراً زمنياً ، إلا أن في نتاجه اللغوي بشكل عام،والنحوي بشكل خاص،دلالة على أثر من سبقوه ، فقد كان ابن جبارة نحوياً لغوياً ، وترك مصنفات منها : " شرح ألفية ابن معطي "(٥)، و " شرح أتراب القصائد في أسنى المقاصد " (٦) للشاطبي .

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ،ج ٦ ، ص ٢٣١ ،وانظر كذلك : طبقات الشافعية السبكي ج ٨ ، ص ١٥ ، وبغية الوعاة : ج ١ ، ص ٢٩٤ .
(٢) انظر : درة الحجال ،ج ١ ، ص ٧٤ .
(٣) انظر : الوافي بالوفيات ، ج ١٢ ، ص ٩٣ ، والدارس : ج ١ ،ص ٥١ .
(٤) انظر ترجمته في : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .
(٥) كشف الظنون : ج ١ ، ص ٤٥٦ ، معجم المؤلفين : ج ٢ ، ص ١٢٥ .
(٦) كشف الظنون : ج ١ ، ص ١٢٣٣ ، معجم المؤلفين : ج ٢ ، ص ١٢٥ .

وممّن تميّزوا في مجال الدّراسات اللّغوية والنّحوية ، الفقيهُ المُحدّثُ النّحويّ شمس الدّين أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ عبدِ القوي بنِ بدران بن عبدِ الله المقدسيّ المرداوي (١) المولودُ سنةَ ستمائةٍ وثلاثينَ ، والمتوفى سنةَ ستمائةٍ وتسعٍ وتسعينَ ، وقد كانَ مولدُهُ بمَردا ، وإليهما نسبتُه ، وكان ابنُ رجب قد جعَل مولدَهُ سنةَ ثلاثٍ وستمائةٍ ، والصّحيحُ ما تقدّم ، وهو ما عليه بقيّةُ المصادرِ الّتي ترجمت له . وقد سمع الحديثَ من خطيب مَردا (٢) ، ثم قدِمَ إلى الصّالحية وتفقّه على الشّيخ شمس الدّين ابنِ أبي عُمَرَ ، وسمِعَ كذلك من محمّد بنِ عبد الهادي (٣) وعثمانَ ابنِ خطيب القَرافة (٤) ، ومُظفّرِ بنِ الشّيرجيّ (٥) وابراهيمَ بنِ خليل (٦) ، وتاجِ الدّين ابنِ عساكرَ (٧) ، وقرأ العربيّةَ على الشيخِ جمالِ الدّين بنِ مالك وغيرِه .

---

(١) له ترجمة في : المنهج على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ * طبقات النحويين واللغويين / ابن قاضي شهبة ، ص ١٧٠ * الوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص ٢٧٨ * دُرّة الحجال : ج ٢ ، ص ٢٦٠ * بُغية الوُعاة : ج ١ ص ١٦١ * شذرات الذّهب : ج ٥ ، ص ٤٥٢ * الأعلام : ج ٦ ، ص٢١٤ * مُعجم المؤلّفين : ج ١٠ ، ص ١٨٥ .

(٢) انظر : طبقات النّحويين واللّغويين : ص ١٧٠ .

(٣) شمسُ الدين محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، وقد كان فقيهاً بارعاً ومقرئاً مُجوّداً ونحوياً بليغاً ، ودرّس بالصّدريّة والضّيائية ، وصنّفَ شرحاً على " التّسهيل " في مُجلّدين ، ولَه مناقشاتٌ مع أبي حيّان في اعتراضاته على ابن مالك . وكانت وفاته سنة ٧٤٤هـ . (انظر : بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٢٦) .

(٤) أبو عمرو عُثمانُ بنُ عليّ بنِ عبدِ الواحد القُرشيُّ الأسديُّ الدّمشقيُّ الناسخُ وقد أجازَ له السِّلَفي ، وكانت وفاته سنة ٦٥٦ هـ . (انظر : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٧٨) .

(٥) نَجمُ الدّين مُظفّرُ بنُ محمّد بنِ الياسِ الأنصاريّ الدّمشقيّ ، ولي تدريسَ المَصرونية ، وكانت وفاته سنة ٦٥٧ هـ . (انظر : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٢٨٩

(٦) ابراهيمُ بنُ خليل ، نجيبُ الدّين أبو اسحقَ الدّمشقي ، حدّثَ بدمشقَ وحلبَ وتوفي سنة ٦٥٨ هـ . (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص٢٨٩) .

(٧) التّاجُ عبدُ الوهّاب بنُ زينِ الأُمناء أبي البركات الحسنِ بنِ محمّد الدّمشقي ، ابنِ عساكر . وقد ولي مَشيخة النّوريّة ، وكانت وفاتُه بمكّةَ سنةَ ٦٦٠هـ . (انظر : شذرات الذهب : ج٥ ، ص ٣٠٢) .

وممّن قرأ عليه العربيّة الشّيخ تقيّ الدّين ابن تيميّة . وقد ولي هذا العالم التدريس بالصّالحية ، وكان يحضر دار الحديث ويشتغل بها وبالجبل ، وقد قال فيه الذهبي : " كان حسن الدّيانة ، دمث الأخلاق ، كثير الأفادة ، مطّرحا للتّكلّف . . . . . وكان من محاسن الشيوخ . . . . وجلست عنده وسمعت كلامه ولي منه إجازة " (١) وشهد فيه ابن رجب أنّه برع في العربيّة ونحوها ، (٢) وكذا ابن قاضي شهبة (٣) . ومن تصانيفه : القصيدة الداليّة المسمّاة " عقد الفرائد وكنز الفوائد " (٤) وهي في خمسة آلاف بيت أو تزيد ، نظمها في أحكام الفقه الحنبليّ . ومن مؤلفاته كذلك القصيدة المسمّاة " منظومة الآداب الشّرعية " (٤) ، وقد ترك أيضا " مصنّفا " سمّاه " طبقات الأصحاب " (٥) وآخر سمّاه " النّعمة " (٦) ويقع في جزئين ، وصنّف كتابا " سمّاه " مجمع البحرين " (٧) ولكنّه لم يتمّه ، وله كتاب " الفروق " (٨) . وممّا صنّفه ابن بدران في النّحو ، " المنتقى من شرح ابن مالك لكتاب عمدة الحافظ وعدّة اللافظ " (٩) فقد انتقاه وعلّقه لنفسه . فمنه ما نقله برمّته ، ومنه ما نقله بمعناه ، ونسخته الخطيّة موجودة في دار الكتب الظّاهرية ، وهي من نسخ ابن بدران نفسه ، وتاريخها سنة ستّمائة وثلاث وسبعين ، وتقع في مائة وثماني ورقات . وقد استمرّ ابن بدران يحدّث ويدرّس ، ويعلّم النّحو والعربيّة عمرا يزيد على نصف قرن من الزّمان ، إلى أن توفّاه الله تعالى سنة تسع وتسعين وستّمائة (١٠) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر : طبقات النّحاة واللغويين ، ص ١٧٠ .
(٤) انظر ما كتبه الدّارس عنهما في باب الشّعر .
(٥) انظر : الذّيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ص ٣٤٢ ، وشذرات الذهب ج ٥ ، ص ٤٥٢ .
(٦) المصدر السابق . وانظر : المدخل الى مذهب الأمام أحمد ، ص ٢١٠ .
(٧) الذّيل على طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٣٤٢ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) فهرس مخطوطات الظّاهرية / النحو ، ص ٤٤٦ ، وانظر : معجم المؤلفين ج ١٠ ، ص ١٨٥ .
(١٠) انظر : درّة الحجال ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، والوافي بالوفيات : ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

ومِمّن كانت لَهم اهتماماتٌ باللُّغةِ ، الشَّيخُ ابراهيمُ بنُ عبدِالواحد بن عليّ بن سُرور (١) ، المعروفُ بالعِماد ، أخو الحافظِ عبدِالغني بنِ عبدِالواحد، وُلد بجَمّاعيلَ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وخمسمائةٍ ، وتَفقَّهَ على مَذهب الأمامِ أحمدَ - رضي اللّهُ عنه - وسَمِعَ ببَغداد ودمشق ، وحَدَّثَ وأقرأَ بدمشقَ مُدّةً . قال فيه المُنذري : " لَقيتُه وسَمعتُ منه " (٢) ، ووَصَفه ابنُ تَغري بُردي (٣) بأنّه إمامٌ زاهدٌ عابدٌ حافظٌ مُحَدِّثٌ فَقيه (٤)، وقالَ فيه غيرُهما إنّه صاحبُ أحوالٍ وكراماتٍ (٥)، وذُكِرَ أنَّه صاحبُ يدٍ باسطةٍ في الفرائض والنَّحوِ والخَطِّ المَليح (٦) . وقد صَنَّفَ كتابَ " الفُروق " في المسائل الفقهية (٧) . وكانت وفاتُه سَنَةَ سِتّمائةٍ وأربعَ عشرةَ . ومن اللُّغويينَ النّابُلسيّينَ ، الشَّيخُ نَجمُ الدّينِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بن خَلَفِ بنِ راجح (٨) ، المُتَوفّى سَنةَ ثَمانٍ وثلاثينَ وستّمائةٍ، وقد كان حَنبليّاً

---

(١) له ترجمة في : مرآة الزمان ، ق ٢ ج ٨ - ص ٥٨٦ - ٥٨٩ * التكملة ج ٤ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ * الوافي بالوفيات : ج ٦ ، ص ٤٩ * فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٣٣ * سِير أعلام النبلاء : ج ٢ ، ص ٤٧ * النُّجوم الزّاهرة : ج ٦ ، ص ٢٢٠ * مرآة الجنان : ج ٤ ، ص ٢٩ * القلائد الجوهرية : ج ٢ ، ص ٣٣٥ .

(٢) انظر : التكملة ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

(٣) الجمالُ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ تَغْري بُردي الأتابكيّ ، المولودُ سَنة ٨١٣هـ وهو صاحب المُصَنَّفات التّالية : " المَنهل الصّافي " في ستة مجلدات ، و " مُورد اللّطافة فيمَن وَلِيَ السَّلطَنةَ والخِلافة " و " البِشارة في تكميل الأشارة " للذّهبي ، و " حِلْيَة الصِّفات " و " النُّجوم الزّاهرة ". وقد تُوفيّ في مصرَ سنة ٨٧٤ هـ . (انظر : البدر الطالع ، ج ٢ ، ص٣٥٢.)

(٤) النّجوم الزّاهرة : ج٦ ، ص ٢٢٠ .

(٥) مرآة الجَنان : ج ٤ ، ص ٢٦ .

(٦) فَواتُ الوَفَيات : ج ١ ، ص ٣٣ .

(٧) مُعجَمُ المُؤَلِّفين : ج ١ ، ص ٥٦ .

(٨) له ترجمة في : مرآة الزمان ، ق ٢ ، ج ٨ ، ص ٧٣٥ * الوافي بالوفيات ج ٨ ، ص ٢٥ * سِيَر أعلام النُّبلاء : ج ٢٣ ، ص ٧٥ * الدّارس : ج ١ ص ٣٦٨ * شَذَرات الذَّهَب : ج ٥ ، ص ١٨٩ .

ثمَّ تشفَّعَ (١) ، وقرأَ "المقنعَ" على مؤلِّفهِ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وستمائةٍ (٢) ودرَّسَ في مدرسةِ الشيخ أبي عمرَ بقاسيونَ ، ثمَّ سافرَ إلى بغدادَ ، فسمعَ من أبي الفرجِ ابنِ الجوزيِ وغيرِه ، ورحلَ إلى همدانَ ، فأخذَ عن الركن الطاووسيّ(٣) ولازمَه مدةً ، وبرعَ في علمِ الخلافِ ، وصارَ له حديثٌ بتلك البلادِ ومنزلةٌ رفيعةٌ ، ثمَّ عادَ إلى دمشقَ ، فدرَّسَ بالشاميةِ البرانيّةِ ، وبأمِّ الصالحِ ، وبالعذراويّةِ والصارميّةِ (٤) . ومن مصنَّفاته : "شرحُ المعالمِ" لفخرِ الدينِ الرازيِ ، في الأصولِ ، وكتابُ "الفصولِ والفروقِ" . وقد شرحَ "المفصَّلَ" للزمخشريِ ، في النحوِ . وممّن كانت لهم اهتماماتٌ باللغةِ من علماءِ المنطقةِ ، الزينُ خالدُ ، واسمُه الكاملُ هو ، خالدُ بنُ يوسفَ بنِ سعدِ بنِ الحسنِ بنِ مفرّجِ بنِ بكّارٍ (٦) ، وكنيتُه أبو البقاءِ (٧) . ولدَ الشيخُ زينُ الدينِ في نابلسَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسمائةٍ ، ثم ارتحلَ في طلبِ العلمِ ، فانتقلَ إلى دمشقَ حيثُ التقى نخبةً من علمائِها ، فسمعَ فيها من أبي محمدٍ القاسمِ بنِ عساكرَ (٨)

---

(١) انظر : الدارس ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أبو الفضل عزيزُ بنُ محمّد العراقيُّ القزوينيُّ ، المعروفُ بالركن الطاووسيّ وقد كان صاحبَ طريقة ، وإماماً مناظراً مفحماً للخصوم ، وتوفي بهمدان سنة ٦٠٠ هـ (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ١٢٩) .

(٤) انظر : الدّارس ، ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٥) انظر : هدية العارفين ، المجلد الأول ، ص ٩٣ ، وإيضاح المكنون ج ٢ ، ص ٥٠٥ ، ومعجم المؤلفين ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٦) له ترجمة في : الذّيل على الروضتين ص ٢٣٢ * تاريخ اربل ، القسم الأول ص ٢٢٧ * البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٤٦ * العبر : ج ٥ ، ص ٢٧٣ * ذيل مرآة الزمان ، المجلد الثاني ، ص ٣٦٦ * عيون التواريخ : ج ٢٠ ، ص ٣٢٧ * فوات الوفيات : المجلد الأول ص ٤٠٣ * تذكرة الحفاظ : ج ٤ ، ص ١٤٤٧ * شذرات الذهب : ج ٥ ، ص ٣٦٣ * طبقات الشافعية الأسنوي : ج ٢ ، ص ٥٠٥ الدّارس في تاريخ المدارس : ج ١ ، ص ٢٥ .

(٧) انظر : عيون التواريخ : ج ٢٠ ، ص ٣٢٧ .

(٨) القاسمُ ابن الحافظ أبي القاسم عليِّ بنِ الحسن بنِ هبةِ الله بنِ عساكرَ الدمشقي المولود سنة ٥٢٧ ، وقد سمع الكثيرَ ، وكان محدّثاً صدوقاً ومن مصنّفاته كتابُ "فضائل القدس" وولي مشيخةَ دار الحديث النوريةِ دونَ أن يتقاضى أجراً .

وحَنبَلِ الرُّصافيّ (١) ، وعُمَرَ بنِ طَبَرْزَد ، وغَيرِهم ، ثُمَّ ذَهبَ إلى بغدادَ فَسَمِعَ فيها من أبي مُحَمَّدٍ ابنِ الأخضرِ (٢) والحُسَينِ بنِ شُنَيْف (٣) ، وعَبدِ العَزيز بنِ مُنَينا (٤) وطَبَقتِهم . وورَد اربلَ سَنَةَ تسعَ عشرةَ وستِّمائةٍ ، وسَمِعَ فيها من راجيةَ بنتِ عبدِ الله (٥) وآخرين .
كان أبو البقاء إماماً في الحديث واللُّغة (٦) ، فَقيهاً ، نَحوياً ، ديِّناً ، ذَكيّاً شديدَ التَثبُّت ، حافظاً لأسماءِ الرِّجال والكثيرِ من الألفاظِ اللُّغويةِ وغَريبِ الحَديث (٧) . وكانَ يحفَظُ قِطعَةً جَيِّدةً من المُؤتلِف والمُختلِف من أسماءِ الرُّواة (٨) . وقد عُرِفَ بمُغالاتِهِ في مذهبِ أهلِ السُّنَّة ، وبِوُلَعِه في شراءِ الكُتبِ وبَيعِها ، وبالمُغالاة في التَعرفِ على خُطوط الأئمةِ بها (٩) ، على الرُّغم من أنَّه كان يُعاني من ضَعفٍ شَديدٍ في الكتابة (١٠) .

---

(١) حَنبلُ بنُ عبدِ الله الرُّصافي ، أبو عبدِ الله المُكَبِّر ، قيلَ عنهُ أنَّهُ رَوى مُسنَدَ الأمام أحمدَ بكَماله ، وقد كانت وفاتُه سنةَ أربعٍ وستمائةٍ . (انظر : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١٢) .

(٢) أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك الجُنابذي ، ثُمّ البُغدادي ، ولد سنةَ أربعٍ وعشرين وخمسمائة وسَمِعَ من جماعة من العُلماء ، ونَسخَ وحَصَّلَ الأُصولَ الثَّمينةَ ، وحَدَّثَ نَحْواً مِن سِتّينَ عاماً ، وكانَت لهُ حَلْقَةٌ بجامع القَصر ، وعُرِف بحُسن الخُلُق، ورِقَّةِ الطَّبع والأمانة ، وقد تَتَلمذَ عليه الكثيرونَ، من بينهم ابنُ الدُّبيثي وابنُ النَّجّار والضّياءُ المَقدسيّ ، وكانت وفاتُه لإحدى عشرة وستّمائة (انظر : تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٣٨٣) .

(٣) الحسينُ بنُ سَعيد بنِ شُنَيف ، أبو عبد الله . وكان مُحَدِّثاً ، سَمِعَ من هِبَةِ اللهِ بنِ الطَّبَرِ وجَماعة ، وتُوفّي ببغدادَ سنة عشرٍ وستّمائة (انظر : العبر ، ج ٣ ، ص ١٥٧) .

(٤) أبو محمد ، عبدُ العزيز بنُ مُنَينا بنِ غَنيمةَ البُغدادي الأشنانيّ ، المُحدِّث العِراقيُّ ، وقد كانت وفاتُه سنةَ اثنتي عشرة وستّمائة . (انظر: العبر ، ج ٣ ، ص ١٥٧) .

(٥) راجيةُ بنتُ عبدِ الله (عَتيقةُ عبدِ اللطيف ابنِ أبي النَّجيب) مُحَدِّثةٌ ، سَمِعَت مِن عبدِ الأوَّل السِّجْزيّ ، وسَمِعَ منها جماعةٌ ببغدادَ واربلَ . (انظر : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، ج ١ ، ص ٤٣٥)

(٦) تاريخ اربل : ق ١ ، ص ٣٢٧ .

(٧) تذكرة الحفاظ : ج ٤ ، ص ١٤٤٧ .

(٨) ذيل مرآة الزمان : ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٩) تاريخ اربل : ق ١ ، ص ٣٢٧ .

(١٠) فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٤٠٣ .

دَرَّسَ أبو البقاء بدار الحديث النورية في دمشق، وولي مشيختها (١). وتردّد إلى المدرسة الشامية البرّانية مُدّة سنتين، إلّا أنّه عندما قرأ كتاب وقفها، وجد من شرطها المبيت بها، فقامَ لوقته، وحَسَبَ ما وصلَ إليه من الجامكيّة (٢) في تلك المُدّة، وباعَ من كتبه وموجوده بمقدار ما وُصِلَ إليه، وحَمَلَهُ إلى ناظر المدرسة، وتوقّف هذا في أخذه، وقال: أنا أسيغُ لكَ تناولَ ذلك. فقال: ليس نَحنُ كالنّصارى يُبيح لهم القسّيسُ ويُحَرّمُ عليهم (٣). وقد حدّثَ عن الحافظ زين الدّين جماعة من الفُضَلاء، من بينهم الشّيخُ تاج الدّين الفزاري (٤) والشّيخُ محيي الدّين النّووي، والشّيخُ تقيّ الدّين القشيريّ (٥)، وأبو عبدِ اللّه المُلَقّنُ (٦) والكمالُ ابنُ النّحّاس (٧) ومحيي الدين يحيى ابنُ المقدسيّ، (٨) وغيرهم.

---

(١) البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٢٤٦.

(٢) الجامكيّةُ: ج جامكيّات، وتعني: مُرتّبُ خُدّام الدّولةِ منَ العسكريّة والمَلكيّة (تركية) انظر: المنجد في اللغة والأدب ص ١٠٢.

(٣) عيون التّواريخ: ج ٢٠، ص ٣٢٧.

(٤) تاجُ الدّين أبو محمد عبدُ الرحمن بنُ ابراهيمَ بنِ سباعِ الفزاريُّ الدّمشقيُّ الشافعيُّ، وقد كان فقيهَ الشّام وبارعاً في المُناظرة، وكانت وفاته سنة ٦٩٠هـ (انظر: العبر، ج ٣ ص ٣٧٣)

(٥) الشّيخُ تقيّ الدين مُحمّدٌ، أبو الفتح بنُ أبي الحَسن عليّ بنِ أبي العطاء وهب بن أبي السّمع مُطيع القُشَيري، المَنفلوطي، المعروفُ بابن دَقيق العيد، (وقد تقدّمت ترجمته).

(٦) الشّيخُ عليُّ المُلَقّنُ بنُ مُحمّد بنُ عليِّ بن بُقاء الصّالحيُّ المقرئُ البغداديّ، عاش ستّاً وثمانينَ سنةً، وتوفيّ سنة ٦٩٨ هـ. (انظر: العبر، ج ٣، ص٣٩٢)

(٧) العلّامة بهاءُ الدّين أبو عبد اللّهِ محمّدُ بنُ ابراهيمَ الحَلَبيّ، كانَ شيخَ العربية بالدّيار المصرية، وتوفي سنة ٦٩٨ هـ (العِبَر، ج ٣، ص ٣٦٢)

(٨) مُحيي الدّين يَحيى بنُ الشّيخ كمالِ الدّين أحمدَ بنِ نِعْمَةَ المَقدسيُّ الشّافعيُّ، وقد كان فَقيهاً مُحَدّثاً، وَولده سنة ٦٣٠ هـ. (انظر: تالي كتاب الوفيات ص ١٧٨).

وقيلَ في صِفاته الخَلْقيّة أنّه كان أسمرَ شديدَ السُّمرة ، قصيراً وبه عَرَجٌ . وقد كان على جانب كبير من الفِطنة والذكاء (١) . وقد قال فيه الذّهبي " وله صورة كبيرة تَنطوي على صِدق وزُهدٍ وأمانة "(٢) . " وذُكِر أنه كانت فيه سهولة في الأخلاق وخِفّة في الظِّلّ ، فقد قال فيه الكُتُبيّ : " كان ظريفاً حلو النادرة "(٣) .
ولعلّ هذه المزايا هي التي جعلته أثيراً لدى الملكِ النّاصر (٤) ، فقد كان يُحِبّه ويُكرمه . ومما يُروى ، أنّه كان يوماً في مجلس الناصرِ ، فأنشدَ شاعرٌ قصيدةً يمدحُهُ بها ، فخلعَ الزّينُ خالدٌ سَراويلَه ورماه على الشّاعر ، فضَحكَ الناصرُ وقال : ماحَمَلَكَ على هذا ؟ ! قال : لم يكنْ معي ما أستغني عنه غَيرُه . فعَجِبَ الناصرُ منه ووَصلَه (٥) .
وفي عام ثلاثة وستين وستّمائة ، انتقل الشيخُ إلى جِوارِ ربّه ، وقد ذكر ذلك أبو شامةَ (٦) ، وقال : " وصلّيْتُ عليه إماماً خارجَ باب الصّغير ، وكانت له جنازةٌ حافلة ، ودُفِنَ في مقابرِ باب الصغير "(٧) .

---

(١) تذكرة الحفّاظ : ج ٤ ، ص ١٤٤٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٤) الملك الناصر داودُ بنُ عيسى بن أبي بكرِ بنِ محمّد بنِ أيّوب بنِ شادي صاحب الكرك ، وقد وُلد الملكُ الناصر سنة ٦٠٣ ، ونشأ في حياة أبيه ملازماً للاشتغال بالعلوم على اختلافها وشارك في كثير منها وجعل منها طرفاً جيداً ، وقد دارت بينه وبين الملك الكامل منازعات . (انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ١٢٨ . والسلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ، ق ٢ ص ٢٩١ وما بعدها) .

(٥) فوات الوفيات : ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(٦) عبدُ الرّحمن بنُ اسماعيل بنِ ابراهيم بنِ عثمان شهاب الدين الدّمشقي الشافعي المشهور بأبي شامة . ولد سنة ٥٩٦ هـ بدمشق ، واعتنى بالقراءات والحديث ، وأتقن اللّغة ودَرّسَ وأفتى ، وولي مشيخةَ دار الحديث الأشرفية ومن تصانيفه " نظم المُفصّل " للزمخشري ، و " مُقدّمة في النحو " و " الباعث على انكار الحوادث " و " مختصر تاريخ ابن عساكر " وغير ذلك (انظر : بغية الوعاة ، ج ٢ ص ٧٨ . وغاية النهاية في طبقات القُرّاء : ج ١ ص ٣٦٥ .)

(٧) الذيل على الروضتين : ص ٢٣٣ .

أمّا فيما يتعلّق بالشّعر ، فيبدو للدارس أنّ الثّقافةَ الدّينيةَ ، في منطقة نابلس ، قد غَلَبتْ على كلّ ثقافة ، وأنّ بعضَ الناس في هذه المنطقة كانوا يتحرّزون في مواقفهم من الشعر . ففقيهُهم الشيخُ عبدُ الغني بنُ عبدِ الواحد مثلاً ، كتب رسالةً سمّاها " أحاديثَ الشّعر " (١) ، عرَض من خلالها لموقف الإسلام من الشّعر بوجهيه ، المُتقبّلِ والمُتحرّز ، وأوردَ مجموعةً من الأحاديثِ والأقوال التي لا تُشجّع على نظمِ الشّعر . ولذا فقد كان أغلبُ ما نجدُه من شعر أولئك ، شعرَ فقهاء ، لا شعرَ شعراء . أمّا أقدمُ ما وصلنا من شعر النابُلسيين ، فهو ما أوردَتْه المصادرُ من نُتَف تنسَب للشاعر ادريس ابن يزيد النابُلسي ، المعاصرِ لأبي تمّام . ثمّ انقضَت فترة طويلة دون أن يظهرَ شاعرٌ يحظى بالاهتمام ، وبقي الأمر كذلك إلى حين قيام الدولة الأيوبية ، إذ ظهرت طبقةٌ من الفقهاء كانت تَنظِم الشعر ، وقد حَفظتْ لنا كتبُ التّراث بعضاً منه . وفي نهاية القرن السادس برز شاعرٌ حازَ شهرة لدى معاصريه هو الرشيدُ النابُلسي .

والناظرُ في شعر الفقهاء الذي أشرتُ إليه آنفاً ، تتبدّى له في هذا الشّعر ، بصورة واضحة ، الثّقافةُ الدينيةُ التي حكَمتْ موضوعاتِه ، كما يتبيّنَ على سبيل المثال في شعرٍ نظَمَه فقيهُ نابلسَ موفّقُ الدّين عبدُ الله ابنُ قُدامة (٢) ، اذ يقول :

لا تجلِسَنّ ببابِ مَن ... يأبى عليكَ دخولَ دارِه
وتقولُ حاجاتي إليهِ يَعوقُها إنْ لم أدارِه
فاترُكْه واقصُدْ ربّها ... تُقضى وربُّ الدّارِ كارِه (٣)

وهذه الروحُ الدّينيةُ تبدو كذلك واضحةً في شعر لهذا الفقيه ، تغلبُ عليه نزعةُ الزّهد والتّفكّر بمصير الأنسان وما يؤولُ إليه بعدَ الموت .

---

(١) مخطوط رقم ٣٧٦٧ ، مجاميع ٣٠ / دار الكتب الظاهرية ، انظر : ص١٠٠ وما بعدها .

(٢) له ترجمة في باب الفقه من هذه الدراسة .

(٣) انظر : مرآة الزمان ، ق٢ ، ج ٨ ، ص٦٢٨ ، والبداية والنهاية : ج ١٣ ، ص١٠٠

يقول مُوفّق الدّين من قصيدة له :

أبعدَ بياضِ الشَّعرِ أعمُرُ مَسْكنًا ... سوى القبرِ ، إنّي إنْ فعلتُ لأحمقُ
يُخبّرني شيبي بأنّي ميّتٌ ... وشيكًا ، فينعاني إليَّ ويَصْدُقُ
يُخرِّقُ عمري كلَّ يومٍ وليلةٍ ... فهل مستطاعٌ رقعُ ما يتخرّقُ
كأنّي بجسمي فوقَ نعشٍ ممدّدًا ... فمِن ساكتٍ أو مُعوِلٍ يتحرّقُ
إذا سُئلوا عنّي أجابوا وعولوا ... وأدمُعُهم تنهلُّ : هذا المُوفّقُ
وغُيّبتُ في صدعٍ من الأرضِ ضيّقٍ ... وأُودِعتُ لحدًا فوقه الصّخرُ مُطبِقُ
ويحثو عليَّ التُّربَ أوثقُ صاحبٍ ... ويُسلمني للقبرِ من هو مُشفِقُ
فيا ربِّ كُنْ لي مؤنسًا يومَ وحشتي ... فإنّي بما أنزلتَه لمُصدِّقُ
وما ضرّني أنّي إلى اللهِ صائرٌ ... ومَن هو من أهلي أبرُّ وأرفقُ (١)

وهذه النّزعةُ الزّهديّةُ ذاتُها نجدُها كذلك عند أخي المُوفّقِ ، محمّدِ بنِ أحمدَ ابنِ محمّدِ بنِ قدامة (٢) ، كما يتبيّن من بيتيه التاليين :

ألم يكُ ملهاةً عن اللّهوِ أنّني ... بدا ليَ شيبُ الرّأسِ والضّعفُ والألمْ
ألمَّ بيَ الخطبُ الذي لو بكيتُه ... حياتي حتى ينفَدَ الدّمعُ لم أُلمْ (٣)

وهذا نموذجٌ آخرُ من شعرِ الفقهاءِ ، يتمثّلُ فيما قاله الفقيهُ المحدّثُ عبدُ الرحمن ابنُ عبد المنعم بنِ نعمة (٤) النابلسي ، المتوفّى سنة ستمائة وست وخمسين ، مشيدًا بعلمِ الحديث وفوائده :

ياطالبًا علمَ خيرِ العلمِ مُجتهدًا ... علم الحديثِ تحوزُ اليُمنَ والرّشدا
ما في العلوم له مِثلٌ يُماثِلُه ... فاطلبْهُ مقتصِدًا ، تسعَدْ به أبدًا
فالفقهُ يُبنى عليه ، حيثُ كان إذ الأحكامُ مأخذُها منه إذا وُجِدا (٥)

---

(١) انظر : مرآة الزمان ، ق ٢ ، ج ٨ ، ص ٦٣٠ وانظر أيضًا : البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ١٠٠ .
(٢) هو الشيخ أبو عمر ، انظر ترجمته في باب الزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة .
(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ج ٢ ، ص ٦٠ .
(٤) انظر ترجمته في باب علوم الحديث والزهد من هذه الدراسة .
(٥) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

غير أن النماذجَ المتقدمةَ لا تَعني بالضرورة أنّ الشُّعراءَ من الفقهاء قد أغلقوا دونَهم جميعَ أبواب الشّعر الّا بابَ الفقه ، إذ قد نَجد لهؤلاء شِعْراً جَميلاً في غيرِ هذا البـاب ، من ذلك ما قاله في الوفاء والمَودّة ، الفقيهُ أبو البقاء خالدُ ابنُ يوسفَ بنِ سَعْد النّابُلسي (١) ، المتوفي عام ستمائة وثلاثة وستين إذ يقول :

أبا حَسَنٍ إنّي إليك وإن نَأَت ... رِكابي إلى بَغداد ما عِشتُ تائِقُ
ولو عَنَتِ الأقدارُ قَبْلي لِعاشِقٍ ... لَما عاقَني عن حُسنِ وَجهِكَ عائِق (٢)

ويقول أيضاً في الغرض نفسه :

يارَبِّ بالمَبعوثِ من هاشِمٍ ... وصِهْرِهِ والبِضْعَة الطُّهْر
لا تَجعلِ اليومَ الذي لا تَرى ... عينايَ تاجَ الدّينِ من عُمْري (٣)

ويقول عبدُ الحَميد بنُ مُرّي بنِ ماضي القَراوي الحَسّاني (٤) ، في مدح رجل اسمُه مُظَفّرُ الدّين :

مُظَفّرُ الدّين هذا قاصداً رَجُلٌ ... ناداكَ وهو بحمل الفقرِ مَوصوب
أبانَه الدّهرُ عن رَبْع فأبعَدَه ... ومَن يُحارب هذا الدهرُ مَحْروب
يامَن أعادَ عيونَ المَجد مُبصِرةً ... تَميص نائله والمجد يعقوب
ومن له شَرَفٌ ما مِثلُه شَرَف ... على قلوب عبادِ اللّه مكتوب
وعِرْضُه عن جَميع الذّمِّ مُمتَنِعٌ ... ومالُهُ في ذَوي الحاجاتِ مَوهوب
وكُنتُ أُعيذُ نَفسي منكَ بُغيَتَها ... واليومَ ها أنتَ والدُّنيا وأيّوب (٥)

---

(١) وكان يُعرَف بالزّين خالد ، انظر ترجمته أثناء حديثنا عن اللغة .
(٢) انظر : تاريخ اربل ، القسم الأول ، ص ٣٢٧ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) تجد له ترجمة في باب علوم الحديث والزّهد من هذه الدراسة .
(٥) هذا الشعر كتبه صاحبه لابن المستوفي سنة ٦١٨ هـ . انظر : تاريخ اربل القسم الأول ، ص ٣١٥ .

ولم يكن الجَمعُ بَينَ الفقهِ والأدبِ أمْراً غيرَ عاديّ ، فهذا أبو بكر محمّدُ بنُ عبدالواحد ابنِ عبدالجليل المُخزوميّ اللّبنيّ (١) ، الذي وُصف بأنّهُ صاحبُ النّظم الجَيّد ، له قصيدة خَرَج بها عن طريق الفقهاء ، يقول فيها :

هوى ما في فُؤادي أم حَريقُ ... وما في فيكَ ريقٌ أم رحيقُ

وكيف يكونُ ريقُكِ غيرَ خَمر ... وَطَرْفُكِ مثلُ قلبي لا يُفيقُ

لَقدْ حَمَّلتِ جِسمي وهو بالٍ ... كَخصْرِكِ في الهوى ما لا يُطيقُ

ولَمّا أنْ نظمتِ بفيكِ دُرّاً ... تَناثَرَ من مَدامِعيَ العَقيقُ

وفي نَعمانَ شَقَّ عليكِ قلبي ... من الأشواقِ فاحمَرَّ الشّقيقُ (٣)

ومن الفقهاء الشعراء ، عونُ الدين أبو اسحقَ يَحيى بنُ عبدِالملك بنِ محمود النابُلسي (٤) الّذي يقول :

ولو تَرَكَ العُقوقَ وحادَ عنه ... حَمَلْتُ إليه من الأثقال وِقرا

ونالَ بذاك ما يَهواه منّي ... ولم أَقبلْ لِلَوم فيه عُذرا

وإن مادامَ مُرتكِباً طَريقاً ... يُفرّقُ بيننا سِتراً وجَهرا

فلَستُ أرى قطيعَتَهُ حَراماً ... ولا الفعلَ المضلّلَ فيه نُكْراً (٥)

وذكر ابنُ كثير أنَّ الشيخَ عبدَالله بنَ غانم بنِ عساكر (٦) ، صاحب زاوية الصوفية

---

(١) فقيه حنبلي ، وقد كان معيداً للناصرية وقاضياً لبعلبك ، وذكره صاحب المُشتَبه فجعل وفاته أيام هولاكو ، وهذا يعني أنه توفي في حدود سنة ٦٥٦ هـ واللّبني نسبة إلى لُبَن من أعمال نابُلس (انظر : تكملة إكمال الاكمال ، ص٢٨٨ ، وانظر : المشتبه ، ج ٢ ، ص ٥٦١ ، وتبصير المشتبه : ج ٣ ، ص ١٢٣٧)

(٢) نَعْمان : وادٍ بأرض الشّام قرب الفرات . انظر : القاموس المحيط ، ج٤ ص ٨٢ !

(٣) انظر : تكملة اكمال الاكمال ، ص ٢٨٨ .

(٤) ذكره صاحب " تلخيص مجمع الآداب " وأورد له الأبيات المذكورة دون أن يترجمَ له ، ولم أجد له ترجمة في أيّ مصدرٍ آخر (انظر : تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٢ ، ص ٩٨٧)

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر ترجمته في باب الزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة .

بنابُلُس ، كانت له أشعارٌ رائقةٌ (١) ، وقد ذكره اليُونيني (٢) كذلك ، وأورد من شعره أبياتاً منها قوله :

لَكَ في القلوبِ منازلٌ ومقامُ — لا العقلُ يدركُها ولا الأفهامُ
ولروحُ مَن يهواك فيها شارةٌ — لا الطرفُ يلحظُها ولا الأوهام
ولقلبيَ المشتاقِ فيكَ صبابةٌ — لا الدهرُ ينفدُها ولا الأيام
وسرَتْ إلى الأرواحِ منكَ نسيمةٌ — سَكِرَت بها العشاقُ فيكَ وهاموا
مَن أصبحَتْ خطراتُ ذكرِك قوتَه — وفؤادُه مأواكَ ، كيفَ ينامُ ؟!
ومَن التجَتْ بجنابِ عزِّك روحُه — واستمسكَتْ بعراك ، كيفَ يضامُ ؟!
ومَن أحرقتْ نيرانُ حبِّك قلبَه — شوقاً إليكَ وهامَ ، كيفَ يُلامُ ؟!
فالوجدُ وجداً ، إنَّ عراكَ ، ولا الهوى — إلا هواكَ ولا الغرامُ غرامُ
وإذا خلتْ منكَ الخيامُ وأصبحت — تؤوي سواكَ فما الخيامُ خيامُ (٣)

وأورد له اليونيني كذلك أبياتاً أخرى يَرُدُّ فيها على من يقول بتعميم الحُكم في تحريم السَّماع (٤) ، فيقول :

يا مُنكراً فضلَ أهلِ الفضلِ والأدبِ — وناسباً فعلَهم ظلماً إلى اللَّعِبِ
قومٌ لهم عندَ ذكرِ اللهِ أفئدةٌ — تطيرُ شوقاً لفرطِ الحبِّ والطلبِ
قلوبُهم بالغِنى باللهِ قد مُلئَت — فما لَهم حاجةٌ في الخَلْقِ والسَّبَبِ

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، وفيات سنة ٦٧٢ هـ .
(٢) عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني ، وقد كان شيخاً زاهداً عابداً ، عرف بشجاعته اذ قيل عنه أنه لم يكن يبالي بالرجال قلّوا أو كثُروا ، وكانت له كرامات ورياضات وإشارات . ومن مصنّفاته : " ذيلُ مرآة الزّمان " ، وتوفي ببعلبك سنة ٦١٧ هـ ، وقد جاوز الثمانين . (انظر : القلائد الجوهرية ج ٢ ، ص ٣٥٥) .
(٣) انظر : ذيل مرآة الزمان ، ج ٣ ، ص ٥٢ .
(٤) كان الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن سليمان بن سعد الحَرّاني المُتَوَفَّى سنة ٦٧٠ هـ ، قد كتب أبياتاً يذمّ فيها السماعَ وأهلَه ، وأرسل بها إلى الشيخ عبد الله ، فكتب الشيخ أبياته هذه يُرَدّ فيها على أبيات الشيخ جمال الدين ، وذلك على طريقة المعارضات . (انظر : مرآة الزمان ج ٣ ، ص ٥٦) .

قد أصبحت في رياض القرب ساكنةً ... أرواحهم فَفَدت بالأنس والطَّرَب
عجبتُ منكم ، وأنتم أيها الفقها ... أهلُ الحديث وأهلُ الفضل والادب
كحضتُم القولَ في أهلِ السَّماع فلم ... تبقوا على أحدٍ في السَّبِّ والغضب
لا تُهلكوا دينكم بالذمّ للفقرا ... أهلِ السَّماع فهذا غايةُ العطب
هذا السماعُ له أهلٌ يُخصُّ بهم ... وغيرُهم منه في لهوٍ وفي لعب
فاللهو منهُ حرامٌ ليس يحضره ... إلّا العوامّ وأهلُ اللغو والتَّعب
والحقّ منه حلالٌ طيّبٌ نفسٌ ... خالٍ من اللغو والأهواء واللعب (١)

وممن لهم شعرٌ من المحدّثين النابلسيين ، زينُ الدين أحمدُ بنُ عبدالدائم بن نعمة (٢) ، المولودُ بفندق الشيوخ سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقد أورد له الصَّفدي بيتين من الشعر قالهما في الإجازة :

أجزتُ لهم عنّي روايةَ كلّ ما ... روايتُهُ لي مع تَوَقٍّ ، وإتقان
ولستُ مُجيزاً للرّواةِ زيادةً ... بَرِئتُ إليهم من مَزيدٍ ونُقصان (٣)

وذكر له الكُتُبي (٤) أبياتاً قالها لما أَضَرّ (٥) ، منها قولُه :

---

(١) ذيل مرآة الزمان : ج٢ ، ص ٥٢ .
(٢) له ترجمة في باب الزهد وعلوم الحديث من هذه الدراسة .
(٣) الوافي بالوفيات : ج٧ ، ص ٣٥ .
(٤) محمد بنُ شاكر بنُ أحمدَ بن عبدالرحمن بن شاكر ، صلاح الدين ، المؤرخ الكُتُبي الداراني ، ثم الدمشقيّ ، وقد سمع من عدد من العلماء ، وكان فقيراً مُدقعاً ، ثم تعاطى بتجارة الكتب فرزق منها مالاً طائلاً ، وكان ذا مروءة. وهو صاحب " فوات الوفيات " المعجم التاريخي المعروف ، وتوفي سنة ٧٦٤ هـ . (انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، ج ٣ ، ص ٤٥١)
(٥) أَضَرّ : ذهبَ بَصَرُه ، يقال : رَجُلٌ ضَريرٌ ، أي ذاهبُ البَصَر ، والجمع أضِرّاء (انظر : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٣) .

إن يذهب اللهُ من عَينيَّ نورَهما ... فإن قلبي بصيرٌ ما به ضَرر
والله إنّكم في القلب منزلةً ... ما نالها قبلكم أنثى ولا ذَكَر
وصالكم لي حياةٌ لا نَفادَ لها ... والهجرُ موتٌ فلا عينٌ ولا أثَر (١)

وله شعرٌ تحدّث فيه عن منسوخاته ، فذكر أنّه نسخ في حياته مايزيد على ألفي مُجلّدة ، إذ يقول :

عجزتُ عن حَمل قرطاسٍ وعن قلم ... من بعد إلفيَ بالقرطاس والقلم
كتبتُ ألفًا وألفًا من مُجلّدة ... فيها علومُ الورى من غير ما ألم
ما العلمُ فخرًا مرئٍ إلاّ لعامله ... إن لم يكن عملٌ فالعلمُ كالعَدَم (٢)

وله أبياتٌ أخرى يتعجّل فيها الموت ، قال فيها :

أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد ... طولَ السّقام وطولَ الهمّ والكَمَد
لو قيل لي ما الذي تهواه قلتُ إذن ... موتًا ، وأخرج عن مالي وعن ولدي
ألقى الإلهَ وأرجو منه مغفرةً ... إنّي لأرجو رضاءَ الواحدِ الصّمد (٣)

أمّا أكثرُ الفقهاء نظمًا وأطولُهم نَفَسًا وأشيعُهم ذِكرًا في هذا المجال ، فهو الشيخُ شمسُ الدين أبو عبدالله محمدُ بنُ عبدالقوي بنِ بَدران المَرداوي ، صاحبُ المَنظومة الداليّة المعروفة باسم " عِقْد الفرائد وكنز الفوائد "، وصاحبُ المنظومة المسماة بـ" منظومة الآداب " . أمّا المنظومةُ الأولى ، فقد جمع فيها صاحبُها أحكامَ الفقه الاسلامي على مذهب الإمام أحمدَ بنِ حنبل ، وتقع في بِضعةِ آلاف بيت من الشّعر ونما تَنْويع في الرَّويّ والقافية والبحر .
والقصيدة شاهد على نَفَسٍ شعري طويل ، وعلمٍ غزير في موضوعها ، وثروةٍ لُغوية واسعة ، وهي في جزأين كبيرين ، وقد طبعت عام ألفٍ وتسعمائة وأربعة وستين .
وقد استهل ابن بدران منظومته تلك بحمد الله والثناء على رسوله الكريم ، ثم بيّن سبب وضعه لهذه المنظومة ، فذكر أنه وقف على منظومة ليحيى بن يوسف (٤)

---

(١) فوات الوفيات : المجلد الأول ، ص ٨١ .
(٢) انظر : نكت الهميان ، ص ٩٦ .
(٣) انظر : عيون التواريخ ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .
(٤) أبو زكريا ، جمال الدين يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري الصرصري الضرير وقد كان فقيهًا زاهدًا وأديبًا شاعرًا ، وله ديوان مدح به الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وكانت له رواية . وقتل يوم دخل التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ (انظر : مختصر طبقات الحنابلة ، ص ٥١)

علىّ مختصر الخرقي" فـراقت له ، ولمّا كان النظم يُيسّر الأمر على المتعلم ويغنيه عن كثير من التفصيلات ، ويُسهّل عليه أمر الحفظ ، فإنه نحى هذا المنحى . ولا شك في أنّ الرّجلَ مُتأثّرٌ بما شاعَ في عصره في هذا المجال ، فظاهرةُ نظم العلوم من الظواهر العامة في عصره ، كما يُمكن أن يُستخلص من البيتين التاليين :

فَشوّقني لمّا تدبّرتُ نظمَه ... فَكنتُ لِسمعي نَظْمُهُ مثلَ مَنْ حُدِي (١)
لَهُ فيه فَضلُ السّبقِ ، والأسّ أسّهُ ... ونحنُ على ما سَنّ نَبني ونَقتدي (٢)

وقد عدّد ابن بدران في منظومته المصادر التى أخذ عنها الأحكام الفقهية التى تمثل مضمون هذه المنظومة ، ثم شرع في بيان منهجه الذى جرى عليه في تقييده لهذه الأحكام ، ثم تناول أبواب الفقه باباً باباً ، محاولاً ما أسعفه النظم ، استيعابه الموضوع ضمن الباب الواحد من جميع جوانبه . ومن أمثلة ذكره لبعض مصادره في هذه المنظومة قوله :

فَنظمتُ مع نَـزْرٍ له باستخارةٍ ... على "مُقنع" الشيخ الأمام المُمجَّد
مُوفّقِ دينِ اللهِ حقّاً وحبره ... ألا ذاك عبدُ الله أعني ابنَ أحمدِ (٣)
تصانيفُ تَجلو للقلوبِ عن الصّدى ... بها كلّ مَعنىً شائعٍ غيرِ مُبْعَدِ
تلقيّته عنه بواسطةِ المُسْنَدِي ... تشدُّ إليه اليَعمُلاتُ لِمقصَدِ (٤)
إمامِ الهُدى شمسِ الشريعةِ والهُدى ... أبي عُمرٍ قُطبِ الزّمانِ مُحمّدِ (٥)

---

(١) يشير الى المنظومة التى وضعها يحيى بن يوسف الصرصري ، من شعراء القرن السابع ، على " مختصر الخرقي " .

(٢) انظر البيتين في : عقد الفَرائد وكنز الفَوائد ، ص ٦ .

(٣) عنى به الشيخ مُوفّق الدين عبدَ الله بنَ أحمد بنِ قُدامة . انظر ترجمته في الفصل الأول من هذه الدراسة .

(٤) اليَعْمُلات : مفردها يَعْمُلَة ، وهي الناقة النّجيبة . (انظر : القاموس المحيط ج ٤ ، ص (٢) .

(٥) الشيخ أبو عمر ، هو محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ قُدامةَ الجَمّاعيلي ، انظر ترجمته في حديثنا عن الحديث والزهد . وانظر الأبيات في : عقد الفرائد ، ص٧ .

ومن تلك المصادر ماذكره بعد ذلك ، فقال :

وسُقتُ زياداتِ "المُحرَّر" (١) كلَّها ... وما قد حوى من كُلِّ قَيدٍ مُجوَّد
فما فوقَ مرمى المجدِ في العلمِ مرتقى ... وغايتُه القُصوى على رغم حُسَّد
وما قد حوى "الاقناعُ" للعالِمِ الذي ... بقبضته التحقيقُ غيرُ مُقلَّد
عليّ بنِ عبدالله ذاكَ ابنُ نصرهم ... أبو الحسنِ (٢) المشهورُ في كلِّ مشهد
وشيئاً من الكافي الكفيل بِبُغيَتي ... وشيئاً من المغني المحيطِ بمَقصَد (٣)
وضَمَّنتُه من غايةِ المجدِ نُبذَةً ... وذلكَ في شرحِ الهداية فاقصد (٤)

وفي بيانه للمنهج الذي جرى عليه في تقييده للأحكام الفقهية في هذه المنظومة يقول :

وقد اكتفي في ضابطٍ بعُمومه ... وأجمَعُ ما بينَ النَّظائر فاهتَدِ
لِقَصدِ اختصارٍ أو لتَوضيحِ مُشكِلٍ ... فَرُبَّ امرئٍ بالشيءِ لايَهتدي
وزدتُ عليه ما تيسَّر نظمُه ... وقيَّدتُ فيه بعضَ مالم يُقيَّد
وثِنتانِ أو قولانِ عن أحمدٍ تَرى ... ووجهانِ كُنِّي عنهما بالتَّردُّد
وأقوى أجمَلَنْ وَجهاً وأولى روايةً ... كذا القصدُ في المَنصورِ ثُمَّ المُسدَّدِ (٥)

---

(١) المقصود هنا هو كتاب " المحرَّر في الفقه " للشيخ الأمام مجد الدين عبدالسلام بن تيمية (وقد تقدمت ترجمته) .

(٢) أبو الحسن الزاغوني ، علي بن عبدالله بن نصر ، أحد أعيان المذهب الحنبلي ببغداد ، وقد كان مُحدِّثاً واعظاً ، وروى عنه خَلقٌ كثير وتفقَّه عليه جماعةٌ منهم: أبو الفرج ابن الجوزي . ومن مصنفاته في الفقه : "الأقناعُ" في مجلد واحد و "الواضحُ" و "الخلافُ الكبير" و "المفرداتُ" و "الايضاحُ" في أصول الدين و "تاريخُ علماء السُّنيِّين" من أوّل ولاية المسترشد إلى وفاته هو ، وغيرها . وتوفي سنة ٥٢٧ ببغداد . (انظر : مختصر طبقات الحنابلة ، ص ٣٢)

(٣) " الكافي " و "المغني " المَعنيّان هنا ، هما كتابا الشيخ الموفق بن قدامة المتقدم ذكرهما في باب الفقه .

(٤) في البيت إشارة الى كتاب الشيخ مجد الدين بن تيمية الموسوم بـ " منتهى الغاية في شرح الهداية» انظر الأبيات في : عقد الفرائد وكنز الفوائد ، ص ٧ .

(٥) انظر : عقد الفرائد وكنز الفوائد ، ج ١ ، ص ٨ .

ومما قاله في باب الجهاد من هذه المنظومة :

وإن جهاد الكفر فرض كفاية ويفضل بعد الفرض كل تعبد
لأن به تحصين ملة أحمد وفضل عموم النفع فوق المقيد
فلله من قد باع لله نفسه وجود الفتى بالنفس أقصى التجود
ومن يغز إن يسلم فأجر ومغنم وإن يرد يظفر بالنعيم المخلد
وما محسن يبغي إذا مات رجعة سوى الشهداء كي يجهدوا بالتزيد (١)
بغدوة غاز أو رواح مجاهد لخير من الدنيا بقول محمد (٢)

وأما منظومته الثانية المسماة " منظومة الآداب "، (٣) فهي أيضا " دالية "، وعدد أبياتها مائتان وواحد وستون بيتا "، وقد جمعت نخبة من الآداب الشرعية، على أن بناءها لا يخلو من ضعف وركاكة في بعض المواضع. وبعد أن افتتح منظومته بحمد الله والثناء عليه، وبين مصادره التي استقى منها، ومقاصده التي رمى إليها، شرع في الحديث عن جملة من الآداب، ومن بين الآداب التي تضمنتها المنظومة أدب الجوارح، وأدب أحكام السماع، وأدب انكار الملذات، وآداب السلام والدخول واللقاء، وسواها. ومما قاله في آداب أحكام السماع،

ويحرم مزمار وشبابة وما يضاهيهما من آلة اللهو والرد ي
ولو لم يقارنها غناء جميعها ومنها ذو والأوتار دون تقيد

---

(١) يشير إلى حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، المروي عن أنس ابن مالك، ونصه: " ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ". انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢.

(٢) يشير إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، المروي عن أنس بن مالك ونصه: " لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها " انظر : فتح الباري، ج ٦، ص٩. وانظر الأبيات في " عقد الفرائد " ص ١٩١ وما بعدها.

(٣) طبعت على مطابع دار الفكر الاسلامي بدمشق.

وحَظْـرُ الغِناءِ ، الأكثرونَ قضوا بـه ... وعَن أبوَي بكـرٍ (١) : إمام ومقتـد
إباحتُه لا كرهَه ، وأباحَـه ... الإمامُ أبو يَعلى (٢) مع الكُرهِ فانشُـدِ (٣)

وبعد أن عَرضْتُ نماذجَ مختلفةً لشعرِ الفقهاءِ النابُلسيين في العصر العباسي ولا سيما في هذه الفترة المتأخرة من ذلك العصر ، أعودُ لأقفَ عند الشاعرين النابُلسيين اللذين حَفِظَتْ لنا المصادرُ شيئاً من أشعارهما . أمّا الشاعرُ الأول، فهو ادريسُ النابُلسي ، المعاصرُ لأبي تمّام ، وعلى الرّغم من قِلّةِ المصادر التي ترجمت له ، فقد اختلفت تلك المصادرُ في تسميته ، فبعضُها ذكره على

---

(١) المقصودُ بهما ، أبو بكرٍ الخَلّالُ وتلميذُه المعروفُ بغُلامِ الخَلّال . أمّا الأولُ منهما فهو الفقيهُ العَلّامةُ المُحَدِّث أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمّد ابنِ هارونَ البغداديّ الحنبليّ المشهورُ بالخَلّال ، وقيل عنه بأنّه جَمَعَ علومَ أحمدَ بنِ حَنبل وسافرَ من أجل ذلك فكتبَها وصنّفها كُتُباً ، ومن مُصَنّفاته " كتابُ السُّنّة " في ثلاث مُجلّدات ، و " كتابُ العِلَل " في عدّة مُجلّدات ، و " كتابُ الجامع " . وكانت وفاتُه سنةَ احدى عشرةَ وثلاثمائةٍ وله سَبْعٌ وسبعون سنةً . (انظر : تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ٧٨٥) ، وأمّا الآخر فهو ، أبو بكرٍ عبدُ العزيز بنُ جعفر بن أحمدَ بنِ يَزداد بن معروف المشهورُ بغُلام الخَلّال ، ذُكرَ بأنّه كان عالماً بمذهبِ الأمامِ أحمدَ ، معروفاً بالفَهمِ واتّساعِ الروايةِ ، وقد أخذ عن كثيرٍ من العلماء ، ولكنّه اختَصّ من شيوخه أبا بكرٍ الخَلّالَ فَعُرِفَ به . ومن مصنفاته " المقنعُ " و " الشّافي " و " كتابُ القَولين " و " مختصرُ السُّنّة " وغيرُها . وتوفي سنة ٣٦٣ هـ . (انظر ترجمته في مقدمة " مسائل عبد العزيز غلام الخلال " لأبي يعلى ، ص:هـ ، وانظر كذلك : مناقب الامام أحمد ، ص ٦ (٥) .

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفرّاء القاضي ، وقد كان ممن برع في علوم القرآن والحديث والفقه . وذُكر أنه كان زاهداً في الدّنيا حريصاً على الآخرة ، وقد صَنّفَ كُتُباً منها: " عيونُ المسائل " و " الرّدّ على الأشعرية والكرّاميّة والباطنية والمُجَسِّمة " و " الكفايةُ " في أصول الفقه ، و " فضائلُ أحمد " و " الجامعُ الصّغير " وغيرُها . وكانت وفاته ببغداد سنة ٤٥٨ هـ . (انظر : مسائل عبد العزيز غلام الخَلّال ، صفحة ج)

(٣) انظر : منظومة الآداب ، طبعة دار الفكر الاسلامي بدمشق ، ص : ٤ .

أنّه ادريسُ بنُ يزيدَ النّابُلُسي (١) فحَسْب ، وبعضُها سَمّاه ادريسَ بنَ عبد اللّه ابنِ اسحقَ اللّخميّ النّابُلُسي البَصري (٢) . وقد كِدْتُ أتوهَّم ، كما توهَّم غيري (٣) أنّ هذه المصادرَ جميعا " تعتمدُ على ما أوردَه شخصٌ واحدٌ هو أبوبكرالصّولي (٤)، وقد اعتمدَ الصّوليّ في كتابه " أخبارِ أبي تمّام " يزيدَ النّابُلُسيّ مَصْدرا " من مصادرِه في توثيقه لأخبارِ أبي تمّام ، ولكنّه في كلّ المواقع التي كان يأخذ فيها عنه، كان يُسمّيه أبا سُليمانَ النّابُلُسيّ ، ولم يزد على ذلك ، ولعلّ ذلك كان من الأسباب التي جعلتِ المتأخّرينَ يختلفون في اسم والدِه . ووجدتُ ابنَ عساكرَ وهو من أقرب المَصادر إليه زمنا " ، يُسمّيه ادريسَ بنَ يزيدَ النّابُلُسي ، (٥) وكذا ابنُ الأنباريّ (٦) في كتابه " نُزْهَة الألبّاء " ، وقد اعتمدَ ياقوتُ في

---

(١) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، ونزهة الألباء : ص ١٥٦، ومعجم البلدان : ج ٥ ص ٢٤٩ .

(٢) انظر : نكت الهميان / الصفدي ، ص ١١٧ ، والوافي بالوفيات ج ٨ ، ص ٣١٦ .

(٣) انظر : بلادنا فلسطين / الدباغ ، (الدّيار النابلسية) ص : ١٠٦ .

(٤) محمّدُ بنُ يحيى بنِ العبّاس الصُّولي ، من الأدباء الظرفاء ، والجمّاعين للكتب وكان نديما " ومعلما " لأبناء الخلفاء ، فنادمَ الراضي والمُكتفي والمُقتدر ، وعاش إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وكانت وفاتُه بالبَصرة ، ومن مصنّفاته : " الأوراق في أخبارِ الخُلَفاء والشُّعراء " و " كتابُ الوُزراء " و " أدَبُ الكاتب " و " أخبارُ أبي تمّام " وغيرُها . (انظر ترجمته في : الفهرست ، ص٢١)

(٥) انظر تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(٦) أبو البركات عبدُ الرّحمن بنُ عُبيد اللّه الأنصاري الأنباري ، وكان من علماء اللّغة والأدب وتاريخ الرّجال ، وقد دَرّس اللّغة في المدرسة النّظامية ببغدادَ واشتغل فيها بعد ذلك بتدريس اللّغة ، وأنقطع في آخر عمره في بيته ببغداد مشتغلا " بالعلم والعبادة ، ومن مصنفاته : "نُزهةُ الألبّاء في طبقات (طبقات)الأدُباء " و " أسرارُ العربيّة " و " الانصافُ في مسائل الخلاف " وكانت وفاته سنة ٥٧٧ هـ . (انظر : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ ، وانباه الرّواة : ج ٢ ، ص ١٦٩ .

"معجم البلدان" على ابن عساكر . أمّا الصّفديُّ ، وهوَ متأخّرٌ نسبيّاً ، فقد ذكره على أنّه ادريسُ بنُ عبدِالله ، وذكر أنّه اعتمدَ في ترجمته لهُ على المرزُباني (١) في كتابه "معجم الشّعراء" . غيرَ أنّني لم أجدْ أيَّ ذكر لادريسَ الشاعرِ في كتاب المرزُباني المطبوعِ ، أو في أيّ من ذيوله الّتي ألحقت به . ولذا أجدُني ميّالاً إلى الأخذ بروايةِ ابنِ عساكر ، لقربِه منهُ زمناً ومكاناً ، ولما عُرفَ عنه من تحرٍّ وضبط .

لم تذكرِ المصادرُ التي ترجمت لادريسَ النابلسي تاريخَ مولده ، ولا تاريخاً دقيقاً لوفاته (٢) ، غيرَ أنّ ابنَ عساكر في روايته عن أبي بكرٍ الصّولي ، يشير إلى الفترة الّتي عاش فيها هذا الشاعرُ ، فيقول :
" قال أبو بكر الصّولي : كنّا يوماً عند ادريسَ بنِ يزيد النّابُلُسي . . . فقال : أنشدَنا أبو تمّام لنفسه . . . . " (٣) ويُفهم من هذه الرّواية أنّ ادريس هذا ، كان معاصراً لأبي تمّام ، فاذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ أبا تمّام توفّي سنةَ احدى وثلاثينَ ومائتينِ ، تبيّنَ لنا أنّ ادريسَ الشاعرَ كان حيّاً في مطلع القرن الثّالث الهجريّ .

عُرف ادريسُ بنُ يزيدَ النّابُلُسيُّ عندَ القُدماء بأمرين : روايتِه لشعر أبي تمّام ، وشعرِه الّذي لم يصلْنا منه إلّا القليلُ . أمّا الأمرُ الأول فمَرَدُّه إلى أنّ أبا بكر الصّولي قد جعلَه مصدراً من مصادر تقييده لأخبار أبي تمّام ، فروى عنه مجموعةً من أشعاره وأخباره ، وممّا رواه أبو سليمان عن أبي تمّام وتفرّدَ به ، ما ذكرهُ ابنُ عساكر اذ قال : " قال أبو بكر

---

(١) أبو عبدالله محمّدُ بنُ عمرانَ بنِ موسى بن سعيد ، وأصلُه من خراسان وقد كان واسع المعرفة بالرّوايات كثير السّماع ، ومن مصنّفاته : "معجمُ الشّعراء" و"كتابُ الأزمنة" و"كتابُ "الموفق" في أخبار الشعراء" ، وكتابُ "شعر حاتم الطّائي" وكتابُ "الهدايا" ، وكانت وفاته سنةَ ٣٧٨ هـ . (انظر : الفهرست ، ص ١٩٠)

(٢) نقل الصّفدي عن المرزُباني ، أنّ وفاتَه كانت بعدَ الثّمانينَ ومائتين (انظر : الوافي بالوفيات ، ج٨ ، ص٣١٥)

(٣) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٤) روى الصّولي عن أبي سليمانَ النّابُلُسي عن تمّام بنِ أبي تمّام ، قوله : "وُلِد أبي سنةَ ثمانٍ وثمانينَ ومائة ، ومات في سنة احدى وثلاثين ومائتين" (انظر : أخبار أبي تمام ، ص٢٧٣ ، وانظر كذلك : نزهة الألبّاء ، ص١٥٦) .

الصّولي : "كُنّا يوماً عند ادريسَ بنِ يزيدَ النّابُلُسي فقال : اعرضوا عَلَيَّ ماعندَكم من غَزَل أبي تمّام ، فعرَضناه . فقال : اكتُبوا ، أنشَدَنا أبو تمّام لنَفسه :

ظَبْيٌ يُتيه بِوَردَةٍ في خَدّه … خَدٌّ عليه غَلائلٌ من وَردِه

ماكنتُ أحسبُ أنّني مُتَمَتِّعٌ … في قُربه حتّى بُليتُ بِبُعْدِه

لا شَيءَ أحسنُ منهُ لَيلةَ وَصْلِنا … وقد اتَّخذَتْ مُخَدَّةً من خَدِّه

وفمي على فَمِه يُساوِرُ ريقَه … وَيدي تَنَزَّهُ في حدائق جلده (١)

ومن الأخبار اللّطيفة التي أوردَها الصّولي في أخباره،روايةً عن أبي سليمانَ ، قولُه : "حدَّثني أبو سليمانَ النّابُلُسي ، قال : قيلَ لأبي تمّام ، قد هَجاكَ مُخَلَّد ، فلَو هَجَوْتَه ؟ قال : الهجاءُ يَرفَعُ منه . قيل : أليسَ هُوَ شاعرا ؟ قال : لو كان شاعراً ماكانَ من الموصل . يَعني أنّ الموصلَ لَم تُخرج شاعراً . قال أبو سليمان : وأصْلُ مُخلّدَ من الرُّحْبَة ، ثُمّ أقامَ بالموصل"(٢) وأمّا الأمرُ الثاني الّذي كان وَراءَ شُهرةِ أبي سُليمانَ عندَ القدُماء ، فهو شعرُه ، وقد بَدا لي من خلال الأخبار البسيطةِ التي وَصَلَتْنا عنه ومن مُلازَمته لأبي تمّام ، أنّه كان شاعراً مُحسِناً ، فقد قال فيه ابنُ عساكر : "وقد كانَ أديباً شاعراً"(٣) . وإنْ لم يَصلْنا من شعره إلّا القليلُ .

غيرَ أنّ هذا القليلَ الّذي وَصَلَنا يكشفُ عَن جوانبَ في شَخصيّته ، فقد كان أبو سليمانُ كفيفَ البَصر ، فَقيرَ الحال ، وهو وإن كانت الحاجةُ تُلجِئه أحياناً للوقوف على أبواب الأمَراء وأصحابِ الجاه ، إلّا أنّه كان يُصَوّرُ نفسَهُ عَفيفاً يأبى لنفسِه أنْ تُهان ، ومنْ ذلك ماقالهُ رَدّاً على أحد الأمراء لأنّه حَجَبَه عن الدّخول إليه ، فقد قال :

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق : ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٢) انظر : أخبار أبي تمام / الصولي ، ص ٢٣٤ ، وفيه أنّ مُخَلّداً هذا هو مُخَلّد بنُ بكّار المَوْصِلي .

(٣) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، وذكر الصفدي نقلاً عن المَرْزُباني أنّ أبا سليمان كان يُكاتب أبا الحسن أحمدَ بنَ مُحمّد بن المُدَبِّر بالأشعار ، عند خروجه إلى الشّام . (انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ص ٦ (٢)

لَمّا تَفَكَّرْتُ في احتجابِك عاتَبْتُ نَفسي عَلى عِتابِك
فَما أراها تَميلُ طَوْعاً إلّا إلى اليأسِ من ثَوابِك
قَدْ وَقَع اليأسُ فاستَوَيْنا فَكُن كما شِئْتَ في احتجابِك
فإنْ تَزُرني أزُرْكَ وإنْ تَقِفْ بِبابي أقِفْ بِبابِك
واللهِ ما أنتَ في حِسابي إلّا إذا كُنتُ في حِسابِك (١)

ومِمّا قاله فيمَن حَجَبَه كذلك ، البيتان التّاليان :

سَأترُكُكم حَتّى يَلينَ حِجابُكم عَلى أنّه لا بُدَّ أنْ سَيَلينُ
خُذوا حِذرَكُمْ مِنْ نَوبَةِ الدَّهرِ إنّها وإنْ لَمْ تَكُنْ حانَت فَسوفَ تَحينُ (٢)

ومِن شِعره الّذي يَصِفُ فيه سوءَ حالِه ، قولُه :

صاحِبُ الحاجةِ أعمى وَهْوَ ذو مالٍ بَصيرُ
فَمَتى يُبصِرُ فيها رُشْدَهُ أعمى فَقيرُ ؟ (٣)

وأمّا الشّاعرُ الآخرُ فَهو عبدُ الرحمن بنُ محمَّد بنِ الحَسَنِ بنِ المُفَرّج بنِ بَكّار ، المعروفُ بِرَشيد الدّين النّابُلسي ، والمُلَقَّبُ بِمذْلَويه (٤) ، وذُكِرَ عنه أنَّه تَأدَّبَ في صِباه على أبي اليُمْن الكِنْدي (٥) ، وقرأ عليه كثيراً من

---

(١) رَوى ابن عساكر فقال : " قال محمد بن يحيى الصّولي ، لَقِيَني يوماً أبو سليمانَ النّابُلسي في مِرْبَد البَصرة ، فقلتُ له : من أين أتيتَ ؟ فقال : مِن عند أميركم الفضلِ بن عَبّاس . فقلتُ أبياتاً ما سَمِعَها أحَدٌ بَعد ، فقلتُ أنشِدْنيها ، فأنشَدَني ... " (انظر : تهذيب تاريخ دمشق ، ج ٢ ص ٢٤٠ ومعجم البلدان : ج٥ ، ص ٢٩٤) .
(٢) قالها في الحَسَن بنِ يوسفَ اليَزيدي ، وعَقَّبَ عليهما بقوله : " فلما قرأ البيتين رَدّني وقَضى حاجَتي " . (انظر تهذيب تاريخ دمشق ج ٢ ، ص٢٤٠ ، وانظر كذلك : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص ٣١٦) .
(٣) انظر : الوافي بالوفيات ، ج ٨ ، ص ٣١٦ .
(٤) وفيات الأعيان : المجلّد الخامس ، ص٢٦٦ ، وفوات الوفيات : ج ٢ ، ص٢٧٥
(٥) تقدمت ترجمتُه في باب الزّهدِ وعلومِ الحديث من هذه الدراسة (انظر ترجمة الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد) .

مَسموعاتِه ، واشتَغَلَ كذلك على الشّاعر فِتيان الشّاغوري (١) ، ثُمَّ رُحل إلى بَغداد وقرأ المقاماتِ الحَريرّية (٢) على أبي الفضل البُغدادي (٣) الكاتب، ثمّ عاد إلى دمشق . وقد ذَكَره بعضُهم ووصَفَه بأنّه " كثيرُ الشِّعر، نَبيهُ الذِّكر ذو نَظمٍ مُستجاد ، أحسَنَ في انشائه وأجاد ، فهو يُجوِّدُ في شِعره بينَ السُّهولة والمَتانة والعُذوبة والرّصانة" (٤) . وقال فيه الذهبي: " وكان شاعراً محسناً مليحَ القَول " (٥) . والمَعروفُ أنّه كان أثيراً لدَى الملوك من بَني أيوب ملوك الشّام ، فمَدَحَ النّاصرَ وأولادَه وأولادَ العادل ، واتّصَلَ بآخِرَته بالملِك المُعظّم عيسى، صاحب دمشق ، ولم يَزَلْ مُنقَطعاً إليه إلى أن تُوفّي (٦) . ولَقي منهم جميعاً " كلَّ تَكريم ، وقد مَدَح غَيرَهم منَ الأمراءِ والقضاةِ والوزراءِ والولاة (٧). وتَقولُ المصادرُ أنّ الرّشيدَ كان مَشغوفاً " بشُرب الخَمر ، نَزقاً مُرَّ المَذاق شَكِسَ الأخلاق ، جافيَ الطِّباع (٨) وَذَكرَ الذّهَبي أنّه أقلَعَ عمّا كان عليه قبلَ مَوته من شُرب لِلخَمر وفَساد في الطّبعِ وصَلُحَت حالُه (٩) .

---

(١) الشيخُ الأديبُ فِتيانُ بنُ عليّ بن فِتيان الأسَدي ، المنعوتُ بالشّهاب الشاغوري ، نسبةً إلى الشّاغور بظاهر دمشق ، وله حديثٌ وشِعرٌ كثيرٌ ، وكانت وفاتُه سنة ٦١٥ هـ . (انظر : التكملة لوفيات النقلة ، المجلد الرابع ، ص ٣١٢ ، وانظر نماذج من شعره في كتاب الروضتين ، ج ٢ ، الصفحات ٨٤ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، وغيرها) .

(٢) نسبة إلى القاسم بن علي الحَريري ، الأديب المعروف ، من أهل البصرة وقد كان أحد أئمّة عصره في علوم اللّغة ، ومن مُصنّفاته " المقامات الحريرية " و " دُرّة الغَواص في أوهام الخَواصّ " و " مُلحة الأعراب " وغيرُها ، وله شِعرٌ ، وكانت وفاته بالبصره سنة ٥١٦ هـ . (انظر : الوفيات ، ص ٢٦٦)

(٣) أبو الفضل عبدُاللّه بنُ أحمدُ بن محمد بن عبد القاهر الطوسيّ ، البغداديّ وَصَفَه الذّهبيّ بأنّه أديبٌ مُحدّثٌ ثِقَةٌ ، وقد كانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ (انظر العبر ، ج ٣ ، ص ٧٥)

(٤) الكلام لابن الشّعّار ، نقلَه عنه صاحبُ " فَوات الوَفيات " انظر : ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٥) تاريخ الاسلام ، نسخة خطيّة عن المخطوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبقة الثانية والستون صفحة ٣٧٦ ، ترجمة رقم ٦٠٨ .

(٦) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٧) المصدر السّابق .

(٨) انظر : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٩) انظر : تاريخ الاسلام للذهبي ، النسخة الخطيّة ، الطبقة ٦٢ ترجمة ٦٠٨ ، ص ٣٧٦

ولقد صَحِبَ الرَّشيدُ الشّاعرَ ابنَ عُنَيْن (١) مُدَّةً ، وكانَ أثيراً لديه ، غيرَ أنَّ هذه الصُّحبةَ لم يَطُلْ أمَدُها ، فانقلبَ الأخيرُ عليه يهجوه ويُقلِّلُ من قَدْرِه بعد أنْ كانَ يُمجِّدُه ويُعلي شأنَه أوّلَ الأمر . ولَعَلَّ شراسةَ أخلاقِ الرَّشيد ونَزَقَه كانا هُما العاملَ في هذا التَّحوُّل ، اضافةً لِما اتَّصفَ به ابنُ عُنين من مَيْلٍ إلى الثَّلْبِ وجُنوحٍ إلى العَداوة والمُغايَظة . وممّا مدحَ به ابنُ عُنَينٍ الرَّشيدَ أيّامَ صَفاءِ الجَوِّ بينَهما ، قولُهُ ، وقد بَعَثَ له بهَديّة :

يا أيُّها الصّاحبُ الصَّدْرُ الذي شَهِدَتْ ... بفَضْلِه ونَداهُ البَدْوُ والحَضَرُ
عَساكَ تَقبلُ شَيئاً قد بَعَثْتُ به ... نَزْراً فإنّي إلى علياكَ أعتَذِرُ
ولو بَعَثْتُ على مِقدارِ فَضْلِكَ أَرسَلْتُ الكواكبَ ، فيها الشَّمسُ والقَمَرُ (٢)

أمّا هجاءُ ابنِ عُنَينٍ للرَّشيد فقد بدأَ خَفيفاً مقبولاً ، ثُمَّ انتهى قاسياً مُؤْذِياً ، وقد خَلَطَ في الأوّل السُّخريةَ بالدُّعابة ، ومنه قولُه :

أنا وابنُ شيثٍ (٣) والرَّشيدُ ثَلاثةٌ ... لا تُرتَجى فينا لِخَلْقٍ فائدةْ
مِن كُلِّ مَنْ قَصُرَتْ يَداهُ عَنِ النَّدى ... يومَ الجَدا وتَطولُ عنهُ المائدةْ
فكأنَّنا واوٌ بعمروٍ أُلحِقَتْ ... أو أُصبَعٌ بينَ الأصابعِ زائدةْ (٤)

---

(١) شَرَفُ الدّين أبو المَحاسن مُحَمَّدُ بنُ نَصرٍ الأَنصاريُّ الدِّمَشقيّ ، ويُقال: إنَّ أَصلَه من الكوفة، والمَشهورُ أنَّه من حَوْران . وُلِد بدمشقَ ونشأَ بها ، وسافر عنها سنينَ فجابَ البلادَ شَرقاً وغَرباً ، وكان ظَريفاً وشاعراً مشهوراً . وقد صَنَّفَ كتاباً سمّاه "مِقراضَ الأعراض" يَشتملُ على نحوِ خمسمائة بَيت من الشِّعر ، كُلُّه في الهِجاء . ولقد بَلَغَ الهند فامتدحَ ملوكَها وحَصَّل من جَرّاء ذلك أموالاً جَزيلة . (انظر : ترجمته في البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٣٧)

(٢) ديوان ابن عُنَين : ص ١٢٠ .

(٣) تَولّى الوزارةَ للملك المُعَظَّم عيسى ، وتُوفّي بدمشق سنة ٦٢٥ ، انظر شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ١١٧)

(٤) انظر : ديوان ابن عُنَيْن ، ص ١٤٦ / ١٤٧ .

وأمّا الثّاني ففيه فُحشٌ واقذاع ، ومنه قولُ ابن عُنَين :

تَعَجّبَ قومٌ لِصَفْعِ الرَّشيدِ ... وذلكَ مازالَ من دابِه
رَجِمتُ انكسارُ قلوبِ النّعالِ ... وقد دَنّسوها بأثوابِه
فَوَاللهِ ما صَفَعوهُ بِها ... ولكنّهمْ صَفَعوها بِه (١)

ولابن عُنَين في هجاء الرّشيد غيرُ ما تقدّم ، شِعرٌ كثيرٌ (٢) ، غيرَ أنّني لم أعثُر للرّشيد على بيت واحد قالَه في هجاء ابن عُنَين (٣) .

هذا وقد كانَ الرّشيدُ شاعراً مُكثراً ، إذ يقولُ ابنُ خِلّكان : (٤) "إنّه تَركَ ديوان شِعرٍ يقعُ في مُجلّدين" (٥) وبَقِيَ ينظِمُ إلى أنْ تُوفّي ، وقد كانت وفاتُه بدمشقَ في مُنتصَفِ صَفر ، سنةَ تسعَ عشرةَ وستّمائة ، ودُفن بباب الصّغير (٦) .

---

(١) انظر : ديوان ابن عُنَين ، ص ١٨٥ .

(٢) انظر : ديوان ابن عُنَين ، ص ١٦٨ ، ١٨٧ .

(٣) ذَكرَ الدّكتورُ محمّدُ زغلول سَلّام في ترجمته للشاعر أبي محمّد القاسم بن القاسم بن عُمَرَ الواسطيّ المُتوفّى بحلب سنة ٦٢٦ هـ ، أنّه دارت بينَ هذا الشّاعر وبينَ الرّشيد النّابلسيّ مُهاجاة ، ولم أتمكّن من الوقوف على شيء منها . (انظر : كتاب الأدب في العصر الأيوبي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٨ ، ص ١٣٥)

(٤) أبو العباس أحمدُ بن ابراهيمَ بن أبي بكر بن خِلّكان البَرمكي ، المولود في اربلَ سنةَ ٦٠٨ هـ ، وقد تتلمذَ على يَد القاضي ابن شدّاد والحافظ ابن الأثير وغيرهما ، وكانت له رحلةٌ إلى مصر واستقرّ في الشّام ، ودرّسَ في عدد من مدارسها ، وله شِعرٌ ومُصنّفاتٌ عديدة أشهرُها كتابُه "وَفياتُ الأعيان" . وتُوفّي ابن خلّكان في دمشق سنة ٦٨١ هـ . (انظر : البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ٣٠١ ، شذرات الذّهب ، ج ٥ ، ص ٣٧١)

(٥) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٦٦ .

(٦) المصدر نفسه .

ومن جيّد شعره ، ما أورده شهاب الدين القوصي (١) في معجمه ، فقد قال : أنشدني رشيد الدين النابلسي ، وقد رأى مليحاً بديع الصورة بين أسودين قبيحي الصورة :

لله من عاينت عيني محاسنه　　يما فعوذته بالله من عيني
يختال كالغصن تيهاً في شمائله　　ما بين عبدين من لون الليل علجين (٢)
فقلت والشوق يطويني وينشرني　　لم ألق قبلك صبحاً بين ليلين
فمر يضحك من قولي وقال : بلى　　كم قد رأى الناس سعداً بين نحسين (٣)

وروى أنه أنشده لنفسه :

يامن عيون الأنام ترقبه　　رقبة شهر الصيام بالفطر
وإنما يرقب الهلال لم　　ترقب بعد الكمال يا بدري (٤)

ومن شعر الرشيد قصيدة متعددة القوافي ، قال فيها :

كم الحشا معذب　　موجع على المدى　　صب الفؤاد مغرم
بناره يلتهب　　ما خمدا　　أواره والضرم

---

(١) أبو العز إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري القوصي ، وكان ظريفاً مطبوعاً حسن المحاضرة ، وقد جمع له معجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة ، وقيل إنه وقف بيته على أهل الحديث ، وكانت وفاته سنة ٦٥٣ هـ . انظر : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٨٦)

(٢) العلج : الرجل من كفار العجم . انظر : القاموس المحيط ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٤) فوات الوفيات : ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

حَكَمٌ فيه أَشنَبُ — مُمَنَّعٌ مِنَ الفِدا — فَهوَ الأَسيرُ المُسْلَمُ
مُبْتَعِدٌ مُجْتَنِبٌ — مُوَدِّعٌ تَغَمَّدا — وهوَ القَريبُ الأَمَمُ (١)
زَمانُهُ تُقَتِّبُ — وَوَلَعٌ قد أُكْبِدا — مَنْ عَزَّ فَهْوَ يُحْكِمُ
ما الحُبُّ إلّا لَهَبٌ — وَمَدْمَعٌ تَجَدَّدا — وَلَوْعَةٌ وَسَقَمُ
يا هَلْ إليهِ سَبَبُ — مُمَتَّعٌ يولي يَدا — مَنْ لُبُّهُ مُخْتَرَمُ (٢)
ما أنا إلّا أَشعَبُ — مطمَعُ فيما عَدا — فما إليهِ سُلَّمُ (٣)

ومنهُ في الحَنين :

مالَكَ والوُرْقُ على أوراقِها — تُعجِبُ ما يُغرِبُ عَنْ أَشواقِها
دَعْها وما هَيَّجَها فإنَّها — أَوالِفٌ تَفرَقُ في فِراقِها (٤)
وإنّما يَريبُ ذا الوَجدِ بِها — مُلْبِسُها الحِلْيَ في أَطْواقِها
أَفْدي الأُلى فارَقْتُهُم فَمُهجَتي — لا تَطمَعُ الأُساةُ في إفْراقِها (٥)

ومن شِعرِه كذلك ، قولُه في أَحدِ غِلمانِ التُّرك :

هَزَّ لَنا مِن قَدِّه سَمْهَرِيّاً — ومِنَ اللَّحظِ صارماً مَشْرَفِيّاً (٦)
شادِنٌ أَرسَلَ الجُفونَ سِهاماً — حينَ أَبدى من حاجِبَيْهِ قِسِيّا (٧)

---

(١) الأَمَم : القَصد ، انظر القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٧٥ .
(٢) اخترَم : استأصَلَ ، انظر : القاموس المحيط ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(٣) انظر الأبيات في : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٤) بالفَتح (فَراق) ويجوز فيه الكَسر كَكِتاب : الفُرقة ، وقُرىء : هذا فُراقُ بيني وبَيْنِك . انظر : القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .
(٥) أفرَق من مَرضه : أَبَلَّ وأفاقَ أو بَرِيءَ منه ، وقيل : لا يَكونُ الإفراقُ إلّا فيما لا يُصيبُك غيرَ مَرّة كالجُدري انظر : القاموس المحيط ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .
(٥) انظر الأبيات في : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٦) اسمَهَرّ الشَّوك : يَبِسَ وصَلُبَ ، والسَّمْهَرِيّ : الرُّمحُ الصَّليبُ العود .(انظر : لسان العرب ،دار صادر ،ج ٤ ،ص ٣٨) . والمَشْرَفيّ ، وَصفٌ للسَّيف يُطلَقُ عليه إذا كان مَعمولاً بالمَشارف،وهي قُرىً من أرضِ العَرب (انظر : فقه اللغة وسرّ العربية الثَّعالبي ، ص ٢٥٥) .
(٧) الشّادِنُ : وَلَدُ الظَّبيَة . (انظر : كتاب العَين : ج ٦ ، ص ٢٤٣) .

ـــــنْ بَني التُّركِ ما رُنا ورمى حَبّةَ قلبٍ إلّا وأصمى الرّميّا

مُخطَفُ الخَصْرِ بالسّهامِ وما أرْ ... شَقُ في الرّمي راشقاً تُركيّا !

فَهُوَ شاكي السّلاحِ ما نالَ مِن قَتْلِ مُحبّيهِ يُرْكِبُ المَنْهيّا (١)

ومِن فَرائد الأبياتِ التي تُنسَبُ للرّشيدِ النّابُلسيّ ، قولُه :

وكَمْ على الأرضِ مِنْ خَضراءَ مورقةٍ ... وليسَ يُرْجَمُ إلّا مالَهُ ثَمَرُ (٢)

وَمِن جَيّدِ شِعرِه الأبياتُ التّاليةُ الّتي قالها في مدح المَلك النّاصر صَلاح الدّين :

أَلْيَمُّ بدارِ النّاصرِ المَلكِ الّذي ... في كَفّه للجُودِ سَبْعَةُ أبْحُرِ

فإذا مَرَرْتَ بِمُلْكِهِ وفُتوحِهِ ... فاسخَرْ بما يُروى عَن الأسْكَنْدَرِ

وإذا بَصُرْتَ بجاشِه وبِجَيْشِهِ ... فاحْثُ التُّرابَ على ذُؤابةِ سِنْجِرِ (٣)

ومنهُ ما قالَه الرّشيدُ في حِصار السُّلطانِ صَلاحِ الدّين لِحِصن كَوْكَب (٤) بمنطقة بَيْسان وما قاساهُ من الأمطارِ والأوْحالِ ، إذ قال :

---

(١) قالَ الزّمخشري : الشّكّةُ ، هي السّلاح، ويُقالُ : هو شاكُّ السّلاح أو شاكٌّ في السّلاح ، ويُقال شاكي السّلاح ، أيْ خَرَجَ بتَمام سِلاحِه . (أساس البلاغة : مادة شكك ص ٢٤٠ ، ومادّة شوك ص ٢٤٤). انظر الأبيات في : فوات الوفيات ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٢) قالَه الرّشيدُ زيادةً على أبياتٍ كان قد بَعَثَ بها المَلِكُ الصّالحُ نَجْمُ الدّين أيّوب إلى النّاصر داودَ ابن عمّه ، في الكَرك ، فكان مِمّا قالَه :

فَفي السّماءِ نُجومٌ لا عِدادَ لَها ... وليسَ يُكْسَفُ إلّا الشّمسُ والقَمَرُ

(انظر : السّلوك لمعرفة دُوَلِ الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩١)

(٣) أحسَبُه سِنْجِر شاه أتابك الجزيرة ، وقد كانَ سَيّءَ الخُلُقِ مُتعَسّفاً ، وناصَبَ صَلاحَ الدّين العِداء (الكامل في التّاريخ ج ١١ ، ص٢٠٩) انظر الأبيات في الرّوضتين ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٤) حِصنُ كَوْكَب بمَنطِقةِ بَيْسانَ بفلسطين ، كان يُمَثّلُ أحَدَ المراكزِ الهامّةِ لِتَجمُّعِ الصّليبيّين على أرض فلسطين، وذلك لِما كان يَتَمتّعُ به من استراتيجيّةٍ في المَوقع علاوةً على شِدّةِ تَحصينه ومَنَعَتِه ، وقد تمّ للسُّلطان فَتحُهُ على الرّغم من رَداءةِ الأحوالِ الجَوّيّةِ في حينه ، سنةَ ٥٨٤ هـ . (انظر : الرّوضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٥) .

ماأبهجَ الدّينَ والدُّنيا بمالِكِها الصّدّيقِ يوسُفَ لا لاذَتْ بِهِ الغِيَرُ (١)

مَلْكٌ تَساوى جُمادى في الجِهادِ وتَمّوزٌ لَدَيْهِ وضاهى ناجِراً صَفَرُ (٢)
فَليسَ يُثْنيهِ حَرٌّ انْ تَوَقَّدَ عَنْ رِضى الإلهِ ولا انْ أغْدَقَ المَطَرُ
ولا يُنَهْنِهُهُ عَمّا يُكابِدُهُ ضَجٌّ أعيذُ مَعاليهِ ولا ضَجَرُ (٣)
ولا يَرى الرَّوحَ إلّا ظَهْرَ سَلْهَبَةٍ في بَطْنِ مَعْرَكَةٍ مَرْكوبُها وَعِرُ (٤)
صَبْرٌ جَميلٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ في فَمِهِ وعِندَ كُلِّ مَليكٍ طَعْمُهُ الصَّبِرُ (٥)

وقد نَظَمَ الرَّشيدُ قصيدةً طويلةً في فَتْح القُدس (٦) على يد السّلطان صَلاحِ الدّين يُهَنّي بها المسلمينَ ويَسخَرُ من الغُزاة الصّليبيّين ، قالَ فيها :

هذا الّذي كانَتِ الآمالُ تَنْتَظِرُ فَلْيوفِ للّهِ أقوامٌ بِما نَذَروا
بِمِثْلِ ذا الفَتْحِ لا وَاللّهِ ما حُكِيَتْ في سالِفِ الدَّهْرِ أخبارٌ ولا سِيَرُ
الآنَ قَرَّت جُنوبٌ في مَضاجِعِها ونامَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حِلْفاً لَهُ السَّهَرُ
يابَهْجَةَ القُدْسِ اذْ أضْحى بِهِ عَلَمُ الأسلامِ مِنْ بَعْدِ طَيٍّ وَهْوَ مُنْتَشِرُ
يانورَ مَسْجِدِهِ الأقْصى وقَد رُفِعَتْ بَعْدَ الصَّليبِ بِهِ الآياتُ والسُّوَرُ

---

(١) غِيَرُ الدَّهر : أحْداثُهُ ومَصائِبُه (انظر : القاموس المحيط ، ج ٢ ، ص ١٠٦)
(٢) ناجِر : شهرُ ناجر هو شَهرُ رَجَب ، ويُقالُ : كُلُّ شَهر في صَميم الحَرِّ ناجِرٌ لأنّ الأبِلَ تَنْجُرُ في ذلك الشّهر ، أيْ يَشْتَدُّ عَطَشُها حَتّى تَيْبَسَ جُلودُها .
(انظر : كتاب العَيْن ، ج ٦ ، ص ١٠٦) .
(٣) يُنَهْنِهُه : يَكُفُّهُ ويَزْجُرُه . (تاج العَروس من جَواهر القاموس ، ج ٩ ، ص ٧١٤) .
(٤) سَلْهَبَة : يُقال فَرَسٌ سَلْهَبٌ وسَلْهَبةٌ إذا طالَ وطالَتْ عِظامُهُ وعَظُمَ . (انظر لسان العرب ج ١ ، ص ٤٧٤) .
(٥) الصَّبِر : كَكَتِف ، ولا يُسكَّنُ إلّا لِضَرورة الشّعر ، وهو عُصارَةُ شَجَرٍ مُرّ . (انظر : تاج اللّغة وصِحاح العَربيّة "الصّحاح" ج ٢ ، ص ٧٠٧)
(انظر الابيات في "الروضتين" ج ٢ ، ص ٢٢) .
(٦) تَمَّ فَتْحُ القُدس واستعادَتُها من أيدي الصّليبيين الغُزاة سنةَ ٥٨٣ هـ .
(انظر : الرّوضتين ، ج ٢ ، ص ٦٣) .

شَتّانَ ما بَيْنَ ناقوسٍ يُدانُ بِهِ ... وبَيْنَ ذي مَنْطِقٍ يُصغي لَهُ الحَجَرُ (١)
اللّهُ أكبرُ صَوْتٌ تَقْشَعِرُّ لَهُ ... شُمُّ الذُّرى وَتكادُ الأَرضُ تَنْفَطِرُ

وقال ساخراً بالصّليبيّين حينَ قَصدوا القُدسَ سنة ٥٨٧ هـ :

وَيْحَ الفِرَنْجَةِ ، بَلْ وَيْلٌ أمّهم أَوَما ... فيهم لَبيبٌ على العِلاّتِ يَعْتَبِرُ
فَكَمْ نَثَرْتَهُمُ ضَرْباً إِذْ انتظَموا ... وكَمْ نَظَمْتَهُمُ طَعْناً إذْ انتَثَروا
كَمْ قَدْ سَقَيْتَهُمُ ذُلاًّ فلا عَجَبٌ ... إن عَرْبَدوا سَفَهاً فالقَوْمُ قد سَكِروا
إنْ يَمْهَلوكَ فلا بِدْعٌ لِجَهْلِهِمُ ... تَسْعى إلى الأُسْدِ في غاباتِها الحُمُر
زاروا نُموراً ولا تُغْني وقاحَتُهُمْ ... إذا أُسودُكَ في أَبطالِهِمْ زَأَروا (٢)

وللرّشيد النّابلُسي أبياتٌ جَيِّدةٌ يُهنّيءُ بها السُّلطانَ صلاحَ الدّين بعيد الأضحى قال فيها :

وأَبيها لولا تَغَزُّلُ عَيْنَيْها لَما قُلْتُ في التَّغَزُّلِ شِعرا
ولكانَتْ مَدائحُ المَلِكِ النّاصرِ أَوْلى ما فيهِ أُعمِلُ فِكرا

مَلِكٌ طَبَّقَ المَمالِكَ عَدْلاً ... مِثْلَ ما أَوْسَعَ البَرِيَّةَ بِرّا
نِلْتَ ما تَبْتَغي مِنَ الدّينِ والدُّنيا فَتيها على المُلوكِ وفَخْرا
فَتَمَلَّ الأَعيادَ صَوْماً وفِطراً ... وَتَلَقَّ الهَناءَ فِطراً ونَحْرا (٣)

---

(١) انظر : الرّوضتين ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
(٢) انظر : الرّوضتين ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
(٣) انظر الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ، وتجد الأبيات كذلك في البداية والنّهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٥١ .

وقد ذكر الذهبيّ أنه مدح أمير المؤمنين الناصر لدين الله (١) بقصيدة مطلعها :

حَرَمُ الخلافةِ والمحلُّ الأعظمُ ... فانظُرْ لنفسِكَ أيَّ دُرٍّ تنظِمُ (٢)

وقال يمدح الملك العادل حين حاصر حصن كوكب سنة ستمائة وتسع بقصيدة مطلعها :

وفى لكَ المُسْعِدانِ : النَّصْرُ والظَّفَرُ ... وطاوعَ العاصِيانِ : الدَّهْرُ والقَدَرُ

ومنها :

خَطَتْ طُرى وطَفى حتّى شهدتُ لهُ ... فلانَ جامحُهُ اذْ أسْهَلَ الوَعِرُ

وشامخانِ رفيعا الأوجِ يحْسُرُ عَنْ ... أنْ يستطيعَهُما التأميلُ والنّظَرُ

في ذُرْوَتَيْ مُشْمَخِرِّ العِزِّ دونَهُما ... مِنْ أنْ يُنالا تَنالُ الأنجُمُ الزُّهُرُ

---

(١) المقصودُ هنا، هو الناصرُ لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمر الله ، أحدُ الخلفاء العباسيين ، ولقد كانت ولادة الناصر لدين الله سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويعَ لهُ عندَ موتِ أبيه سنةَ خمس وسبعين وخمسمائة ، واستدّت خلافتُهُ سبعةً وأربعينَ عاماً ، عُرِفَ خلالها بالاهتمامِ الشديد بمصالح الملك، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوال رعيّته، وكانت له هيبةٌ في نفوس الخلق وهو مع ذلك شهم جواد . ولقد كان مُشجِّعاً للعلم والعلماء ، وفي وسط ولايته اشتغلَ برواية الحديث، وكتب للملوك والعلماء اجازاتٍ ، وممّن حدّث عنه ، ابنُ الأخضر وابنُ النجار وغيرهما . ونُقِلَ عن سبط ابن الجوزي أنّ الناصرَ لدين الله فقد بصرَه في آخر عمره (انظر : تاريخ الخلفاء ، السيوطي تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ص ٤٤٨) .

(٢) ورد هذا البيت في كتاب " تاريخ الاسلام " للذهبي ، النسخة الخطيّة ، الطبقة ٦٢ ، الترجمة ٦٠٨ ، الا أنه لم يورد غيره من أبيات القصيدة ، ولم أتمكن من العثور عليها في المصادر التي وقفت عليها .

أَورَثْتَ حِصْنَكَ مِنْ تِلْكَ الحُصونِ مُنىً ... لولاكَ عَزَّ على زُوَّارِها الصَّدَرُ
لَقَدْ رَأى كَوْكَبٌ في نفسِهِ عَجَباً ... وَكادَ كَوكَبُهُ الدُّرِّيُّ يَنْكَدِرُ
أَضْرَمْتَ جُذْوَةَ بَأْسٍ في جَوانِبِهِ ... أنفاسُها في نُفوسِ الشِّرْكِ تَزْدَفِرُ
وَطَوَّقَتْهُ مَجانيقٌ يَلينُ لَها ... قَلْبُ الحَديدِ ولا يَسْتَمْسِكُ الحَجَرُ
هَوَتْ عليهِ بِمِثْلِ الشُّهْبِ قاذِفَةً ... فَخَدُّهُ بِصَعيدِ الأرضِ مُنْعَفِرُ
أَضْحَتْ مَخانِقُ في أَعْناقِ هَضْبَتِهِ ... عُقودُ خَيْلِكَ مَسْدوداً بِها الثُّغَرُ
بادَرْتَهُمْ بِرِجالٍ لا يُنَهْنِهُهُمْ ... مِنْ رَأْيِكَ الحَزْمُ أَوْ مِنْ كَفِّكَ البَدَرُ
مُعَوَّدينَ قِراعَ المَوتِ قَدْ أَلِفوا ... أَنْ لا يَروعَهُمُ خَوْفٌ ولا ذُعُرُ
جَيْشٌ إذا جاشَ طامي لُجِّهِ غَرِقَتْ ... في جَنْبِ تَيّارِهِ الأَفْهامُ والفِكَرُ
لَقَدْ بَطَشْتَهُمُ بَطْشاً لَوِ اتَّهَموا ... صَرْفَ المَقاديرِ أَو أَحداثَها فَتَروا
فاسْتَشْعَروا الذُّلَّ جِلْباباً وقادَهُمُ ... قَسْراً إِليكَ سَطىً للأُسْدِ تَقْتَسِرُ (١)

وقال يُهَنِّئُ السُّلطانَ صَلاحَ الدّين بالفَتح ، بقَصيدةٍ أنشَدَهُ إيّاها بِمَرْج عَكّا ، مَطلَعُها :

حَدَقُ الغانِياتِ في القَلْبِ أَنْكى ... مِن شِفارِ الظُّبى وأَعْظَمُ فَتْكا

ومنها :

مالِجَيْشِ الضَّلالِ في بَحْرِ هُلْكٍ ... لا يُحيلونَ للنَّجا مِنهُ فُلْكا
صاحَ فيهم داعي البَوارِ فَلِلأَعْـ ... ـيُنِ أَقْذى ، ولِلمَسامِعِ سَكّا
فَتَراهُم مِن التَّضاؤُلِ كالوَهمِ وكانوا تُلَعُ المَناكِبِ يُشْكى

---

(١) صورة الصّليبيين في الأدب العربي / عبد القادر أبو شريفة / رسالة ماجستير ، على الآلة الكاتبة : ص ٤٦١ والأبيات مأخوذة من عقد الجُمان ، مخطوط ، ج ١٧ ، ق ٢ ، ورقة ٢٧٨ .

بِعُيونٍ بيضٍ يَرَوْنَ بها الأيّامُ مُسْوَدَّةَ اللَّونِ حُلْكا
بهم يا هُمامُ قد ضاقَتِ الأرضُ فأوسِعْهُمُ بَوارًا وهُلْكا
أثْقِلوا بالبلاءِ مِنكَ وقد كانَ يَقينُ الأوغادِ مِنْ قَبْلُ شَكّا
وَعَدَتْهُمْ بَلْ أَوْعَدَتْهُمْ نُفوسٌ كان ميعادُها غرورًا وإفْكا
ولِبيضِ الهِندِ الرِّقاقِ وسُمْرِ الخَطِّ آتَتْ رُؤوسُهم دونَ عَكّا
فَقَتيلٌ مُعَفَّرٌ ليسَ يُودَى وأسيرٌ مُكَبَّلٌ لنْ يُفَكّا
أنجاةٌ وقد طَرَحْتَ عليهم كَلْكَلًا يَهْدِمُ الجبالَ ، ودَكّا
وتَوخَّيْتَهُم ببيضٍ ظُباةٍ كُلُّها يَهتِكُ الضَّرائبَ هَتْكا (١)

---

(١) صورة الصليبيين في الأدب العربي : ص ٤٦٢ ، عن عقد الجمان ج ١٧ ، ق ١ ، ورقة ١٧٨ ، ١٧٩ .